الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي لميلة

معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المرجع: .....

" كتاب الدعوة إلى العامية و أثرها في مصر لنفوسة زكريا "
ـ قراءة وصفية تحليلية للكتاب ـ

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الليسانس (ل.م.د) في اللغة والأدب العربي
تخصص: لغة عربية

إعداد الطالبتين :

***– آمنة بوقشيرة**

***– دلال لهشيلي**

– إشراف الأستاذ:

الخثير داودي

السنة الجامعية: 2014/2013

دعـــــاء

اللهم ارزقنا حبك وحب من يحبك ،
اللهم ظلنا تحت عرشك يوم لا ظل إلا ظلك،
رب أوزعني أن أشكر نعمتك علي وعلى والدي
وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لي في ذريتي
إني تبت إليك وإني من المسلمين ،
رب اغفر لي ولوالدي ربي ارحمهما كما ربياني صغيرا
اللهم اغفر لي ما لا يعلمون
ولا تؤاخذني بما يقولون
واجعلني خيرا مما يظنون

شكر و تقدير

"من لا يشكر لا يشكر" صدق رسول الله

"و لأن لكل بداية نهاية وما أساس النهاية إلا النتيجة"

لا بد لنا و نحن نخطو خطواتنا الأخيرة في الحياة الجامعية من وقفة نعود بها إلى أعوام قضيناها في رحاب أساتذتنا الكرام اللذين قدموا لنا الكثير بادلين بذلك جهودا كبيرة في بناء جيل الغد لتبعث الأمة من جديد

وقبل أن نمضي وجب علينا أن نقدم أسمى آيات الشكر و الإمتنان و التقدير و المحبة إلى اللذين حملوا أقدس رسالة في الحياة إلى أستاذنا "**الخثير داودي**" والذي تفضل بالإشراف على هذا البحث و تشجيعه لنا و الذي لم يبخل علينا بالمعلومات والنصائح و تزويدنا بالمصادر و تقديم التوجيه و الإرشاد حيث كان لنا خير معين وخير أنيس طيلة قيامنا بهذا البحث وما عسانا أن نقول إلا ما قاله الشاعر :

- لو كان الشكر شخص يبين إذا ما تأمله الناظر

لبينتـــه لك حتـــى تراه فتعلم أني إمرؤ شاكر

" فلك فائق الشكر و التقدير يا أستاذي "

أقتبس من التنزيل في التنويه بشأن لغة الضاد :

قال الله عز وجل : {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ } - سورة يوسف – الآية : 2.

– وقال :{ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (193) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (194) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ (195) سورة الشعراء – الآية 193–195

وقال :{ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا (113)}

سورة طه الآية 113 .

– وقال : { إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (3) } سورة الزخرف الآية : 3 .

– وقال : { كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ } سورة فصلت الآية : 3 .

نمادج من عناية السلف بالعربية :

– قال عبد المالك بن مروان رحمه الله : " أطلقوا ألسنتكم ، فإن المرء تنوبه النائبة ، فسيتغير الثوب و الدابة ، و لا يمكنه أن يستعير اللسان "

– وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : " تعلموا العربية فإنها تزيد المروؤة "

مقدمة :

الحمد لله الذي جعل العربية على أشرف لسان ، وأنزل كتابه المحكم في أساليبها الحسان ، و الصلاة والسلام على أفضل العرب لهجة ، و أصدقهم حجة ، وأقوم الدعاة إلى الحق محجة ، وعلى آله الأمجاد ، وصحبه الذين فتحوا البلاد ، ونشرو لغة التنزيل في الأغوار و الأنجاد ، و حببوها إلى الأعجمين حتى إستقامت ألسنتهم على النطق بالضاد .

أما بعد :

لقد شرف الله تعالى – جل جلاله و علا – العربية و عظمها و رفع درجتها و كرمها و أوحى لها إلى خير خلقه محمد صلى الله عليه وسلم وجعلها على لسان مبين فهي لغة الكتاب الكريم وقد كفل الله لها الحفظ ما دام يحفظ دينه حيث قال عز إسمه : ‹‹إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْر وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ›› فكلما بدأت معارفها تتكسر أو كادت معالمها تتيسر رد الله لها إعتبارها ، وفي هذه الآونة الأخيرة إزدادت الشكوى من تفشي الضعف في تلك اللغة الجميلة داخل طور التعليم و خارجه و على ألسنة الكثير من المثقفين و المختصين في شتى العلوم و بعض المختصين في اللغة ذاتها حيث إعتبروها بعيدة المنال على كثير من أهلها و أنها أصبحت لغة ضعيفة و جامدة ، ولكن بالرغم من كل ما وصم وها به تبقى لغتنا ولغة كتابنا المنزل على حبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم ، حيث يقول أحد الوطنيين الفرنسيين :" إن اللغة هي الوطن فلنكن مع الوطن" .

ومن هنا يأتي كتاب تاريخ الدعوة إلى العامية و أثرها في مصر لنفوسة زكريا سعيد المألف الذي نشر أول مرة عام 1964 غيرة من صاحبته على هذه اللغة الشريفة و إيمانا منها بقوتها ومقدرتها في كل وقت و إسهاما في إظهار الداء ووصف الدواء لهذا الضعف الذي بدأ يغزو العربية الفصحى ، مع العلم أنها علم بأن هذا الضعف أسبابه متداخلة و لكن المقام لا يتسع لها كلها لذا تناولت سببا مهما و خطيرا ألا وهو قضية الدعوة إلى

العامية هذه الدعوة الفتاكة التي مرت بها العربية الفصحى و التي لم تصادفها و لم تمر بها من قبل فقد حاولت الحلول محل العربية ووصلها بالتخلف و الضعف .

– وبالعودة إلى أوائل القرن الماضي تبين أن محاولات إحلال اللهجات العامية مكان اللغة العربية اقترن بظاهرة الإستعمار حيث ظهر فريق من المستشرقين الذين حاولوا و بكل الوسائل نشر العاميات و الرطانات لتحقيق غايتين : الأولى إضعاف اللغة العربية التي تربط الهوية و العقيدة معا ، و الثانية الفصل و قدر الإمكان بين الدول العربية التي تعد اللغة العربية أحد مقوماتها و حدتها و ترابطها بالإضافة إلى أن هؤلاء المستشرقين أعدوا العدة و خططو للإطاحة بالعربية فاهتموا بدراسة اللهجات العربية منذ القرن 19 ميلادي ومن مظاهر هذا الإهتمام :

أ– إدخالهم تدريس الله جات العامية العربية في مدارسهم و جامعاتهم مستعينين ببعض الشرقيين .

- ب– إهتمامهم بتأليف في اللهجات العامية العربية .

وليس هدفهم من دراسة اللهجات العربية المحلية هو البحث العلمي كما زعموا و لا من أجل حاجاتهم إلى معرفة لهجات البلاد العربية التي تقتضي مصالحهم أن يعيشوا فيها و يتعاملوا معها ، و إنما من أجل القضاء على العربية و إحلال العامية محلها .

فكتاب تاريخ الدعوة إلى العامية و أثرها في مصر تطرق إلى هذه القضية وكشف الستار عنها و على ما تسببه من مشكلات اللغة العربية الفصحى و التي بسببها تعرضت الأمم العربية لأعنف إنقلاب ثقافي بعد الإسلام .

– ولهذا إتخذنا هذا الكتاب (تاريخ الدعوة إلى العامية و أثرها في مصر) لنفوسة زكريا موضوعا للبحث فحللناه و درسناه دراسة تحليلية وصفية ووضعناه تحت عنوان : الدعوة إلى العامية و أثرها في مصر ، لنفوسة زكريا – قراة وصفية تحليلية للكتاب –. و الموضوع كما يبدو من عنوانه عالج قضية العامية حيث تناول هذا البحث مقدمة ومدخل

عرفنا فيه بالعامية من الناحية اللغوية و الإصطلاحية و أيضا عمر هذه القضية الهدامة ، و لماذا كانت مصر هي منبتها ، ثم قسم البحث إلى ثلاث فصول فالفصل الأول تناولنا فيه عدة قضايا مهمة إختصرناها تحت عنوان : منبع الدعوة إلى العامية و أوائل الدعاة لها و هذا الفصل يضم ثلاث مباحث :

– المبحث الأول : المألفات الأجنبية التي نبتت منها الدعوة إلى العامية .

– المبحث الثاني : المألفات العربية التي تناولت دراسة العامية إيعازا من الأجانب .

– المبحث الثالث : هل كان رفاعة الطهطاوي واعيا و عالما بمطامح هذه الدعوة ؟ .

– أما الفصل الثاني فوضع تحت عنوان إقتران الدعوة بحركات التجديد و الإصلاح و يضم مبحثين .

المبحث الأول : لماذا إقترنت الدعوة إلى العامية بحركات التجديد و الإصلاح ؟ و هذا العنوان

ينقسم إلى :

أ – إقتران الدعوة إلى العامية بحركات التمصير

ب – إقترانها بحركة بتسيير النحو .

– المبحث الثاني : الدعوة إلى الحرف اللاتني دعوة رافدة للدعوة إلى العامية وهذا العنوان بدورة ينقسم إلى :

أ – هل الدعوة إلى الحرف اللاتني بحقيقتها دعوة للتخلص من علم الصرف أو من رسم الحرف .

ب – لماذا تراجع تراجع تمام حسان عن الدعوة إلى الحرف اللاتني ؟ وأما بالنسبة للفصل الثالث و الأخير فيقع تحت عنوان : التجربة ترد للفحصحى إعتبارها و يضم ثلاث مباحث :

– المبحث الأول : لماذا فشلت الدعوة إلى العامية رغم كل الخدمات التي قدمت لها ؟ .

– المبحث الثاني : هل نستطيع القول بأن اللغة العربية من خلال هذه الدعوة قد إبتليت ببلاء لم تبتل به أية لغة في العالم ؟ .

– المبحث الثالث : القيمة العلمية لكتاب "تاريخ الدعوة إلى العامية و أثرها في مصر " .

– وفي ختام مقدمتي هذه لا يسعني إلا أن أتقدم بالشكر لله أولا الذي وفقني بإتمام بحثي ثم أتقدم بخالص شكري و أمنياتي لأستاذي الفاضل الأستاذ الخثير داودي و الذي أسهم في وضع قواعد هذا البحث و الذي لم يبخل علينا بما لديه سواءا من قريب أو من بعيد وأرجو أن أكون قد وفقت في دراسة هذا الكتاب وتحليله و نجحت في بحثي ، وبعد هذا فإن وفقت فمن الله التوفيق ، و إن أخطأت فحسبي أني حاولت الوصول بجهدي المتواضع و الإنسان ليس معصوما من الزلل .

ولله الحمد و المنة في الأولى و الآخرة .

– آمنة بوقشيرة + دلال لهشيلي

المركز الجامعي لـ : ميلة : عبد الحفيظ بوالصوف

2014/05/01

مفهوم العامية لغة :

– إن كلمة العامية مشتقة من كلمة عمى – " والعمى : ذهاب البصر كله ، وفي الأزهري من العينين كلتيهما ، عمي يعمى عمى فهو أعمى "[1] . و أعماي يعماي أعمياء .

– نقول رجل أعمى و إمرأة عمياء و جمعهما إمرأتان عميا و أن قال عز و جل : " ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأظل سبيلا "[2].

– نقول رجل عم إذا كان أعمى القلب . ورجل عمي القلب أي جاهل و العمى ذهاب نظر القلب " و العامي الذي لا يبصر طريقه . في قوله الشاعر .

لاَ تَأْتِيَنِّي تَبْتَغِي لِينَ جانِبِي

بِرَأْسِك نَحْوِي عامِيًا مُتَعاشِيَا. "[3]

– العامية من الناحية الإصطلاحية :

– العامية هي لغة الإستعمال اليومي ، وهي اللغة المنطوقة التي تتواصل بها بيننا ، فهي لهجة مولدة من تحريف كلمات الفصحى

– " ويعني بها لغة الحديث فهي اللغة التي تستخدم في الشؤون العادية ويجري بها الحديث اليومي فهي لا تخضع لقوانين تضبطها وتحكم عباراتها لأنها تلقائية متغيرة تتغير تبعا لتغير الأجيال و الظروف المحيطة بهم ".[4] ومعناها أن العامية هي لغة التخاطب اليومي ، و تعتبر لهجة إقليمية متغيرة عبر الزمان و العامية قانون يخضع له أية لغة من لغات في العالم .

---

[1] – لسان العرب ، لإبن منظور ، دار صبح ، بيروت لبنان ، ط1 ، 2006 ص : 400

[2] – القرآن الكريم ، سورة الإسراء ، الآية : 72 .

[3] – لسان العرب ، ص: 40 .

[4] – تاريخ الدعوة إلى العامية و آثارها في مصر ، د : نفوسة زكريا سعيد ، دار النشر للثقافة ، الإسكندرية ، ط 01 ، 1964 ، ص : من تمهيد المؤلف .

– " كما تعتبر أيضا مستوى غير خاضع لقواعد النحو و الصرف و يتصف بالتلقائية و الإختزال ، إنها عربية فقدت بعض الخصائص الموجودة في الفصحى مثل الإعراب و لكنها ليست لغة في حد ذاتها مثلما يجوز للبعض أن يسميها قياسا على اللغات المتفرعة من اللاتنية ".[1] ومعنى هذا أنها لغة طرأت عليها تغيرات و تخفيضات و تعديلات تتناسب و تتوافق مع أمور المعيشة و الإستعمال اليومي للأفراد ، وهي لغة متداولة في مجتمعنا فهي لغة العامة .

– و العامية هي النموذج اللغوي الذي تكتسبه إكتسابا و يستحوذ على البرنامج اللغوي الأول "الفصحى " في الدماغ لدى الناطقين بالعربية " . [2] ويتصح لنا من خلال هذا القول أنه أصبح يوجد لدينا مستويين لغويين الأول اللغة الفصحى و التي نتعلمها و الثاني العامية و هي لغة مكتسبة من الشارع .

ويعرفها علي عبد الواحد وافي : " بأنها لغة فقيرة كل الفقر في مفرداتها و مضطربة في قواعدها و أساليبها و معاني ألفاظها وتحديد وظائف الكلمات في جملها ".[3] وهذا يعني أن هذه اللغة هي لغة ركيكة العبارات و بسيطة الألفاظ لا تخضع لقواعد الإعراب و هي تحتاج إلى تعديل و تغيير و إصلاح .

– ما عمر هذه الدعوة ؟ :

– " إن العامية تلازم اللغة العربية منذ أقدم عصورها فاللغة العربية التي إنقسم المتكلمون بها منذ أقدم عصورهم إلى قبائل متعددة إختصت كل منها بلهجة متميزة عن الأخرى في بعض مظاهرها (.....) فلما إنتشر الإسلام وامتدت فتوحاته إزداد إختلاف لهجات المحادثة

[1] – الفصحى و عاميتها ، أعمال الندوة الدولية التي نظمت بالتعاون مع وزارة الثقافة ضمن فعاليات الجزائر العاصمة ، دار الخلدونية للطبع و النشر و التوزيع يومي : 4 – 5 يونيو 2007، ص: 5 .

[2] – المرجع نفسه ، مقال : د : نهاد موسى ، ص : 44.

[3] – فقه اللغة ، د: علي عبد الواحد وافي ، نهظة مصر للطباعة و النشر و التوزيع ، ط3 ، 2004 ، ص : 122 .

بسبب إختلاط العرب بالأعاجم وانتقال العربية إلى الأمصار (.....) وكان من أول مظاهر إبتعادها عن الفصحى اللحن وهو أول أدوات العامية " . [1] ولهذا يعتبر اللحن هو أول سبب في نشوء العامية وانتقال اللغة العربية الفصحى إلى العامية الركيكة . وذلك لما يطرأ على اللسان العربي من تحريف و تغيير و تخفيف العبارات و الجمل .

– " ويتضح لنا أن العامية ظاهرة في كل اللغات و أنها لازمت العربية منذ أقدم عصورها دون أن تزحزحها عن ميدانها الأدبي وأن إهتمام العلماء القدامى بدراستها كان جزءا من إهتمامهم بالفصحى . " [2] ومعناه أن هذه اللهجة " العامية " عاشت مع العربية الفصحى منذ القدم ، حيث " كانت العربية في تلك الحقبة تخوض حروبا شعواء مع دعوات حاقدة هدفها التطويح بها ومسخها ، وإحلال العامية محلها ". [3]

– " كما ترى نفوسة زكريا سعيد أن مصدر هذه الدعوة أجنبي ، وذلك من خلال دراستها للكتب الأجنبية التي تناولت دراسة اللهجة المصرية و خاصة ما كان منها في أوائل هذا الإحتلال البريطاني في مصر " [4]. ومعناه أن أصل ومنبع العامية هي تلك المؤلفات الأجنبية التي عالجت ودرست وتناولت اللهجة المصرية و ذلك من أجل نشر العامية و إحلالها محل الفصحى .

– و إذا جئنا إلى تقدير عمر هذه الدعوة فإننا نجدها مبدئنا بأول كتاب أجنبي وهو" كتاب قواعد العربية العامية في مصر " ولهم سبيتا عام 1880 الرائد الألماني و الذي يعد الأول الذي كتب في العامية المصرية من الأجانب " ومن هذا الكتاب إنبثقت الدعوة إلى إتخاذ

---

[1] – أنظر تاريخ الدعوة إلى العامية و أثرها في مصر ، ص : 5 .

[2] – المرجع نفسه ، ص : 8 .

[3] – أنظر كتاب فصول في اللغة و النقد ، د: نعمة رحيم الغراوي ، المكتبة العصرية ، شارع المتنبي بناية المكتبة البغدادية ، ط1 ، 1425 هـ – 2004 م ، ص: 124 .

[4] – أنظر الدعوة إلى العامية و أثرها في مصر ، ص :8.

العامية لغة أدبية (.....) وفي هذا الكتاب أيضا وضع أول إقتراح لإتخاذ الحروف اللاتنية لكتابة العامية تلك الحروف التي تؤدي بإستخدامها فيما بعد لكتابة العربية الفصحى ›› [1] .

– إذن يعد هذا الكتاب هو الميلاد الرسمي للدعوة إلى العامية حيث كان أول تجربة لتناول ودراسة لهجة عربية محلية ونتيجة هذا الكتاب خلق لدينا صعوبات و مشاكل لغوية و أدبية .

– ولكن هذه الدعوة تلاشت و فشلت ولم تجد من ينصرها عام 1990 وذلك بوفاة كبار الدعاة لها و على رأسهم لويس عوض وهو أكبر شخصية زادت في قوة الدفع و الترويج للعامية حيث شن حربا على الفصحى و دعى إلى العامية . فكما قال محمود شاكر : ‹‹ (...) اللغة العربية التي كسر هو رقبتها و على الشعر العربي الذي كسر هو عموده ›› [2] فلويس عوض كان من أكثر و أكبر الدعاة إلى اللغة العامية و إحلالها محل الفصحى ، كما إعتبره محمود شاكر نسخة منقحة و طبق الأصل عن أستاذه الروحي – كما سماه لويس عوض – سلامة موسى .

– قال أيضا محمود شاكر : ‹‹ وقد كشفت النقاب عن وجه لويس عوض (.....) فعرضته كما هو في حقيقته لا أدبيا ولا متأدبا ولا مفكرا ولا دكتورا ذا طيلسان وجلاجل ، بل حاقدا على العربية وكتابها و أهلها يستخدمه قومه لأغراض بعيدة الأثر في حياة الأمة

[1] – المرجع نفسه ، ص :18.

[2] – أبا طيل وأسمار ، د: محمود محمد شاكر ، الناشر : مكتبة الخانجي بالقاهرة الجزءان :1 – 2 ، ص : 121 .

التي تتخذ العربية لغتها والقرآن كتابها بلا موازية ولا إستخفاء " [1]

– فمحمود شاكر يوضح لنا أن " لويس عوض "[أ] مجرد داعية للعامية لا أقل ولا أكثر فلا هو بأديب و لا بدكتور ولا غير ذلك فهو يسعى إلى نشر العامية وطغيانها على العربية .

– فإن هذا الرجل من ألد أولئك و أكثرهم دعوة للعامية فهو يريد نبذ العربية ووص مها بالتخلف و تشويه جوهرها ، درجة أنه تدخل في القرآن كتاب الله الذي لا أحد فينا سيشك بأنه أقدم نص عربي صحيح وصل إلينا بحركاته و أدائه وذلك تبعا للعناية الوافرة به و الإيمان بأنه كتاب مقدس نزل على نبينا وحبيبنا " محمد صلى الله عليه وسلم " ، حيث نزل بلغة العرب . ولو لم ينزل بلغتهم كما كان له هذا الأثر الكبير فيهم . بل إن إعجازه يمكن في نزوله على قوم كانوا يعتزون بفصاحتهم شعرا ونثرا . فقد كانت اللغة التي نزل بها هي لغة الشعر الجاهلي و الأمثال قبل ظهور الإسلام ، ولغة القرآن و الحديث و الأدب بعد ظهوره ، حيث أنه " لويس عوض " يريد وبإخلاص أن يترجم القرآن إلى العامية وذلك من أجل أن نحفظه من التحريف كما حدث للإنجيل ، ونحفظه أيضا من رجال الدين منذ عهد الأئمة و الصحابة إلى يومنا هذا .

– لماذا كانت مصر مركز إنطلاق الدعوة إلى العامية ؟

فالدعوة إلى العامية إنطلقت من مصر بالذات لأنها بوابة الثقافة العربية بغض النظر عن مكانتها وتراثها العريق ودرجتها الرفيعة و العالية في العالم العربي ، فالعامية دخلت مصر عن طريق كثرة الوافدين إليها لدراسة تراثها و زي ارة هذه البلاد العريقة ، وبهذا إنتشرت

[1] - أنظر المرجع نفسه ، ص: 126.

[أ] – لويس عوض :1915 – 1990 ، مفكر و مؤلف مصري ولد في ألمنيا عام 1915 م ، نال ليسانس الآداب قسم الإنجليزية بتقدير ممتاز عام 1937م ، وحصل على ماجستير الأدب الإنجليزي عام 1943 م ودكتوراه عام 1953 ، من مؤلفاته المؤتمرات عام 1965 ، تاريخ الفكر المصري الحديث عام 1969 م ، مقدمة في فقه اللغة العربي عام 1980 وغيرها .....

العامية في مصر ثم إنبثقت و توسعت إلى العالم العربي ، عن طريق السنما و الإذاعة و التي كانت تبث بالعامية .

" فالأفلام المصرية تكاد أن تكون الأفلام العربية الوحيدة التي تعرض في كثير من البلدان العربية لتخلف الفن السينمائي في هذه البلاد أو لعدم قيمه أصلا (.....) وثمة وسائل أخرى لإنتشار العامية منها كثرة الوافدين على مصر من البلاد العربية لتلقي العلم في مدارسها ومعاهدها و جامعلتها (.....) ومنها البحوث التعليمية المصرية و أهمها في بلاد العرب : السعودية ، الكويت ..... ، ولقد نتج عن إنتشار العامية المصرية في سائر الأقطار العربية أي صار أهل هذه البلاد ، لا سيما المثقفون منهم و سكان المدن الكبيرة ، أفضل منها للعامية المصرية من المصريين لعاميات البلاد الأخرى " [1] .

– وقد إنبعثت الدعوة إلى العامية من مصر بالذات ، زمن الإحتلال البريطاني ، وذلك بفضل مجموعة من العوامل ، نذكر من بينها : النهضة الصناعية المصرية و العلمية وسط المشاكل اللغوية القائمة على تفوق العامية على الفصحى الركيكة أنذاك ، بالإضافة إلى الوضع الفكري الديموقراطي الذي عاشته مصر ، كما لا ننسى " الأفكار الداروينية التي فتنت الباحثين في مسألة حياة اللغات و موتها والتي شعلت أوربا و الشرق منذ الثلث الأخير من القرن التاسع عشر ، صنف إلى ذلك كله إختلاف الباحثين العرب و الغربيين في النظر إلى صلة اللغة أية لغة – بالدين أي دين ، لهذا الأسباب كلها إنبعثت الدعوة إلى العامية من مصر بالذات ، وبلغ صخبها الأفاق ، ولكن مصادفة إنبعاثها مع قدوم الإنجليز قد أغرى كثيرا من الباحثين العرب بالقول بأن الإنجليز كانوا وراء الدعوة إلى العامية " [2] .

---

[1] – اللغة و المجتمع د: محمود السعران ، مزيدة ومنقحة ، ط 2 ، 1963 ص:178.

[2] – مجلة الجامعة الإسلامية ، قراءة جديدة في قضية الدعوة إلى العامية ،د،عبد الله أحمد خليل إسماعيل ، المج لد الخامس ، العدد الثاني ، يونيو ، 1997، ص: 56.

المؤلفات الأجنبية التي نبتت منها الدعوة إلى العامية :

– لقد إهتم الأجانب باللهجات العربية العامية وسلطوا النظر إليها وذلك منذ القرن التاسع عشر حيث بدوا في أول الأمر بإنشاء مدارس خاصة لدراسة هذه اللهجة معتمدين على بعض العرب الذين كانوا يعملون في بلادهم ، كما أدخلوا تدريس هذه اللهجة إلى جامعتهم ومعاهدهم مثلا : " في إيطاليا درست العربية العامية في مدرسة نابولي للدروس الشرقية التي أنشأت عام 1727م وجددت سنة 1888 م " [1] . بالإضافة إلى مدارس أخرى كمدرسة القناصل بفينا ، ومدرسة باريس للغات الشرقية الحية ... وغيرها .

– وفي نهاية القرن التاسع عشر بدأ الأوروبيين بتأليف و كتابة رسائلهم و مقالتهم تناولوا فيها العامية المصرية وخاصة الدارسين الأوروبيين الذين يعيشون في مصر إبان الإحتلال البريطاني لمصر فقد تألقوا فيها و نذكر منهم ولهلم سبيتا وهو رائد ألماني " كان مديرا لدار المصرية . " [2] .

– مع العلم أن هذا الرائد كان يقطن في مصر ويعيش في إحياءها كما أنه درس العامية .

– ووجد أن هذه اللهجة مختلفة من حي إلى حي ومن بلد لآخر " فلما رأى هو ومن يهدف إلى تحطيم حركة الإحياء (....) أن الأمر يوشك أن يخرج إلى ما لا يحمدون عقباه من سيادة اللغة العربية و نهضتها مرة أخرى " [3] .

– ألف كتابا سماه " قواعد اللغة العامية في مصر عام 1880م " ويعد هذا الكتاب أول إنطلاقه للعامية و أول كتاب تناول اللهجة العامية المصرية حيث نجد في ثنايا هذا الكتاب الهدف أو الغرض الأساسي لسبيتا من كتابه هذا .

– حيث تحدث في بادىء الأمر عن الصعوبات و العراقيل التي واجهته من بينها أن هذه اللغة (العامية) ليست لها أدب أصلي ثم عن العمل أو الجهد الذي بذله للتغلب على هذه الصعوبات .

---

[1] – تاريخ الدعوة إلى العامية و آثارها في مصر ، ص: 9

[2] – المرجع نفسه ، ص : 17 .

[3] – أبا طيل و أسمار ، د – محمود شاكر ، ص: 132 .

– " وانتقل بعد ذلك إلى الكلام عن فتح العرب لمصر (19 هجري – 640 م) وانتشار لغاتهم بين أهلها و قضائها على اللغة القبطية لغة البلاد الأصلية " [1] ثم تكلم عن المنهج المتبع في البحث واختتم مقدمته بقوله : " وأخيرا سأجازف بالتصريح عن الأمل الذي راودني على الدوام طوال مدة جمع هذا الكتاب ، وهو أمل يتعلق بمصر نفسها ، يمس أمرا هو بالنسبة إليها و إلى شعبها يكاد أن يكون مسألة حياة أو موت فكل من عاش فترة طويلة في بلاد تتكلم العربية يعرف إلى أي حد كبير تتأثر كل نواحي النشاط فيها بسبب الإختلاف الواسع بين لغة الحديث و لغة الكتابة . " [2]

– وهنا يتضح لنا أن سبيتا يحاول أن يشير إلى مدى صعوبة الفصحى ، وأنها لغة معقدة فليس من العدل النطق أو التكلم للغة و الكتابة بلغة أخرى ، ويقول في موضع آخر : " ففي مثل تلك الظروف ، لا يمكن مطلقا التفكير في ثقافة شعبية ، إذ كيف يمكن في فترة التعليم الإبتدائي القصير ، أن يحصل المرء حتى على نصف معرفة بلغة صعبة جدا كاللغة العربية الفصحى" [3] .

– وبهذا أكد لنا و على كل من يطلع على هذا الكتاب أن العربية الفصحى ليست باللغة السهلة فلذلك يجب أن نوحد بين لغة الكلام "العامية " ولغة الكتابة " الفصحى " .

– " و أما الكتاب فيشمل على أربعة أجزاء " :

الأول – في طريقة النطق (نطق العامية بالحروف اللاتينية التي إستنبطها لكتابتها)

الثاني – في أجزاء الكلام .

الثالث – في تركيب الجمل .

الرابع – في النصوص (قصص، فكاهات ، مواويل ، أمثال) [4] .

– وتمحور هذه الأربع أجزاء على إتخاذ العامية لغة أدبية ، كما وصف اللغة العربية الفصحى بالصعوبة و الجمود .

---

[1] – تاريخ الدعوة إلى العامية و آثارها في مصر ، ص: 20.

[2] – نقلا عن كتاب : الدعوة إلى العامية و آثارها في مصر ، ص:21. من كتاب قواعد العربية العامية في مصر لو لهلم سبيتا .

[3] – نقلا أبا طيل و أسمار ، ص: 132، من كتاب : قواعد العربية العامية في مصر ، لو لهلم سبيتا .

[4] – تاريخ الدعوة إلى العامية و آثارها في مصر ، ص:23 .

– وأما عام 1890 ، وضع كارل فولرس كتابا تحت عنوان " اللهجة العامية الحديثة في مصر " ، ثم تولى ترجمته في سنة 1895م الإنجليزية " بوركيت " ، وألح على ما ألح عليه سبيتا " [1] حيث سار درب و نهج واهلم سبيتا في كتابه الذي تحدثنا عنه سابقا . " فاستنبط حروفا لاتنية لكتابة العامية و درس قواعدها و أورد كثيرا من نصوصها . " [2] فهو يخطو خطى سبيتا .

– فتحدث في كتابه هذا عن اللهجات الحديثة و الأحرار على دراستها ، لأن هذه اللهجة " العامية " لا تنقص من منزلة العربية الفصحى ، وذلك لأنها لهجات لها جذور قديمة وعريقة ، كما يتكلم أيضا عن اللهجة المصرية الحديثة فتناولها و قسمها إلى لهجات رئيسية و هي كالتالي :

– أ – لهجة أهل المدن .

– ب – لهجة الفلاحين .

– جـ – لهجة البدو [3] .

– وقد إقتصر كارل فولرس على دراست لهجة أهل القاهرة حيث قام بذكر جهود العربية الفصحى في نهاية مقدمته مشبها إياها باللاتنية الكلاسكية ، " وشبه العلاقة التي بينها وبين اللهجة المصرية بالعلاقة التي بين باللاتنية و الكلاسكية و الإيطالية الحديثة " [4] كما أشار كارل إلى أعظم إختلاف بين اللهجة المصرية الحديثة وبين الإيطالية الحديثة وهو وجود الأدب الإيطالي . لأن اللهجة المصرية الحديثة لم تستخدم في أغراض أدبية هامة ولم تجد طريقها إلا في القصص و المسرحيات المترجمة و الأمثال العربية ، أما تدوينها فهو راجع إلى جهود الأوروبيين .

– بالإضافة إلى المبشر الإنجليزي وليم ولكسس فقد " ألقى محاضرة و نشرها في مجلة الأزهر ، التي آلت إليه عام 1893م ، وزعم فيها أن الذي وقف في طريق المصريين و عاقهم عن الإختراع هو كتابتهم بالفصحى ودعا إلى التأليف بالعامية ، وقال للناس : " وما أوقفني هذا الموقف إلا حبي لخدمة الإنسانية ورغبتي في إنتشار المعارف . وما أجده، في نفسي من الميل إليكم الدال على ميلكم إلي " [5] .

---

[1] – أبا طيل و أسمار ، ص :134.

[2] – تاريخ الدعوة إلى العامية و آثارها في مصر ، ص : 24 .

[3] – أنظر المرجع نفسه ، ص : 24 – 25 .

[4] – تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر ، ص : 25 .

[5] – أنظر أبا طيل و أسمار ، ص : 134 .

– وفي عام 1901 م وضع سلدن ولمور كتابه عن العامية الصرية تحت عنوان " العربية المحكية في مصر " حيث سار على درب سبيتا كما فعل كارل فولرس في دراسة العامية المصرية ، " سواء في دراسة قواعدها وجمع نصوصها أم في الدعوة إلى كتابتها بحروف لاتنية واتخاذها لغة أدبية " [1] . حيث كانت إسلدن طرقه الخاصة في تدعيم تلك الدعوة فأستغلها من أجل تحقيق أحد أهداف الإستعمار البريطاني ألا و هو تفتيت العرب وفصلهم عن ماضيهم وتشتيت وحدتهم وذلك بالقضاء على العربية الفصحى .

– وأما في سنة 1907 م فقد إشترك كل من باول و زميله فيلوت في وضع كتاب عن العامية المصرية تحت عنوان " المقتضب في عربية مصر" ، حيث لإتجها وجهة عملية من أجل تسهيل دراسة اللهجة العامية المصرية ، فكانت المقدمة مختصرة و موجزة أشارا فيها إلى رغبتهما في تعليم و تدريس اللهجة المصرية ، " تلك التي ضاعت كرامتها على ح ـد قولهما يتركها تنساب مفككة بدون ضوابط تربطها حتى أصبحت لا وجود لها كلغة مكتوبة ". [2]

إذن ، من هذه الكتب تستنتج أن الدعوة للعامية ومنذ بدايتها ، هي مجرد أراء فردية أذاعها أشخاص عبروا عن رغبتهم و قناعتهم و أهواءهم الخبيثة و المكتوبة ، ومن هذه المؤلفات أيضا نعرف مصدر الدعوة إلى إتخاذ العامية لغة للكتابة ، ونعرف مصدر الشكوى من صعوبة الفصحى ، ونعرف مصدر الدعوة إلى إستبدال الحروف العربية باللاتنية ، إذا فهذه الدعوة "العامية" لم تنبت من جهة منظمة أو إيديولجية إست عمارية أو طائفية ، بل الذي وصمها بهذه السمة هو مجرد مصادفة ظهورها مع ظهورها الإستعمار ، وتبني الغربيين لها .

المؤلفات العربية التي تناولت دراسة الهجات إيعازا من الأجانب :

– تتضمن المؤلفات التي تناولت دراست اللهجة المصرية عدة مؤلفات أهمها ما وصلنا في أوائل القرن الماضي . ككتاب " أحسن النخب في معرفة لسان العرب "لمحمد عياد الطهطاوي . و الثاني لميخائيل الصباغ تحت عنوان " الرسالة التامة في كلام العرب و المنهاج في أحوال الكلام الدارج " .

– فالكتاب الأول " أحسن النخب في معرفة لسان العرب " ، فقد قدم المؤلف مقدمته باللغة

[1] – تاريخ الدعوة إلى العامية آثارها في مصر ، ص : 25 .

[2] – تاريخ الدعوة إلى العامية و آثارها في مصر . ص: 31 .

الفرنسية أشار فيها إلى الهدف الحقيقي من وراء تأليفه لكتابه هذا ألا و هو رغبته الجامحة في تسهيل دراسة العامية كما قام بذكر أمثلة تبين الإختلاف القائم بين الفصحى و العامية " إختلافات في القواعد النحوية ، كعدم تقييد العامية بحركات الإعراب "[1] فالكتاب كتبه الطهطاوي باللغة العربية ثم ترجم بالفرنسية و قد قسمه خمسة أبواب .

– والكتاب الثاني " الرسالة التامة في كلام العرب و المنهاج في أحوال الكلام الدارج " يجمع ميخائيل الصباغ في كتابه هذا بين دراسة العامية المصرية و الشامية .

– وقد نوهفي بداية مقدمته إلى أسباب إختلاف العامية عن العربية الفصحى ثم إنتقل إلى ذكر الدافع له على تأليف هذا الكتاب و الصعوبات التي واجهته ، ثم يأتي إلى ذكر المنهج الذي إتبعه في تأليف كتابه حيث يقوم على تسجيل خصائص العامية فقط لأنه يرى " أن المستشرقين قد تكلفوا من قبل بيان خصائص العربية الفصحى "[2] .

– وهذا لأن خصائص العربية قد تمت دراستها من قبل هذا ما دفع بميخائيل إلى تسجيل خصائص العامية فقط .

ومن أشهر المؤلفات التي تناولت دراسة اللهجة العامية من المؤلفين العرب هي:

– رسائل في العربية العامية "لمحمد عباد الطنطاوي" عام 1848م.

– كتاب اللغة العربية العامية في مصر والشام "لميخائيل الصباغ السوري" توفي : 1816م. طبع في استراسبورغ عام 1886م.

– كتاب مميزات لغات العرب وتخريج اللغات العامية عليها ، لحنفي بك ناصف المصري ، طبع في مصر عام 1886م.

– خطاب الترجمة والتعريب "لحمزة فتح الله المصري" ألقاه في المجمع العلمي في فيينا عام 1886م ، طبع بالمطبعة الحجرية في مصر وفيه بحوث في اللغة العربية العامية .

كتاب التحفة الوفائية في العربية العامية المصرية للسيد وفاء محمد ، طبع بالقاهرة عام 1892م.

كتاب أمثال المتكلمين عن عوام المصريين لمحمود عمر الباجوري طبع في مصر عام 1893م.

[1] – تاريخ الدعوة إلى العامية في مصر ، ص: 32 .

[2] – المرجع نفسه ، ص: 33 .

– كتاب الألفاظ الإيطالية في العامية المصرية ، لسقراط إسبيرو نشر عام 1904، مع لفظ الكلمات العربية بالإنجليزية ، وقد طبع بالعربية والإنجليزية.

مقال العولمة وتطورات العالم المعاصر لـ"جهاد علاوته" ، العدد 2655 بتاريخ : 23/ماي/2009

هل كان رفاعة الطهطاوي واعياً بمطامح هذه الدعوة ؟

– كان رفاعة الطهطاوي [1] أحد طلاب البعثات اتي كانت وجهتها أوروبا ، كان في الخامس والعشرين من العمر ، حيث بدأت هده البعثات على يد جل له منزله كبيرة عند نابوليون ، كان مهندسا فذاً ،كما أنه أنتخب عضوا بالمجتمع العلمي الفرنسي ، كان مهتما بشكل غريب في كل ما يخص مصر، هذا الرجل هو "آدم فرنسوا جومار" ،حيث سارع إلى إغراء "محمد علي" في إرسال بعثات كبيرة من مصر إلى أوروبا ، ليكون هو المشرف عليها وذلك من أجل هدف واحد وهو: تكوين حزب للفرنسيين في مصر.

– فكانت البعثة الأولى عام 1826 م ، ضمت حوالي 44 طالب ، أشرف عليهم "المسيو جومار" علمهم وأدخلهم مدارس فرنسية ، وكان من بين هؤلاء الطلبة ، رجل محب للأدب والعلم / متنوع العلوم ، قوي العزيمة ، غزير الأفكار وهو "رفاعة الطهطاوي" حيث خرج مع البعثة إماما لها ، ليقود أفراد البعثة ، ويصلي بهم الصلوات الخمس [2] ، كان رجلاً ميسور الحال ، من أسرة فقيرة يمشي وسط أزقة مصر الضيقة و المهدمة "تم يركب سفينة فرنسية تتلألأ أنوارها ترمي به إلى قلب باريس ، بحدائقها وميدانها ..." [3]

هذا الرجل القوي العود كما قال عنه محمود شاكر ، كان محط أنظار " المسيو جومار" ، ذو التجربة الطويلة والخبرة ، وصاحب النظر الفد ، رآه معجبا باللغة الفرنسية ، يريد وبشدة تعلمها ونطقها ، رآه ذو نفس لها إرادة وطموح إلى العلاء فأخده " المسيوجومار" وسلمه إلى طائفة من المستشرقين وعلى رأسهم "سلفستر دي ساسي" (...) فأستغلوه أبرع إستغلال و صبوا في أدنيه ،

---

[1] – رفاعة الطنطاوي : ولد بمدينة طهطا بجديرية حوجا عام 1801 م، من أسرة رقيقة الحال ، أتم حفظ القرآن ، رحل إلى القاهرة وهو في 16 من عمره ، انظم في سلك طلبة الأزهر ، تلقى العلم من شيوخه لسنوات ، ثم سافر إلى فرنسا عام 1826، مع أول بعثة من مصر إلى أوروبا ليكون إماما لأعضائها.

[2] – رسالة في الطريق إلى ثقافتنا ، د– محمود محمد شاكر ، مكتبة الأسرة ،1997 ، ص : 142 .

[3] – المرجع نفسه ، ص : 143.

وطرحوا في قرارات قلبه معاني وأفكار قد بيتوها ودرسوها وعرفوا عواقبها حين تنتشر وتنمو في دخيلة نفس [1] ورفاعة بجده وإرادته وعفويته تعلم الفرنسية مدة ثلاث سنوات ، وأما الثلاث الباقية فقضاها في تعلم العلوم الأخرى من الرياضيات وفلسفة ....، ثم عاد إلى مصر وألف كتاب تحت عنوان "أنوار توفيق الجليل ، في أخبار مصر وتوثيق بني إسماعيل" عام 1868م. " فعقد فصلا ذكر فيه ، فضل العربية ووجوب إحيائها ، ولكنه ضمة دعوة إلى استعمال العامية فقال :" نعم إن اللغة المتداولة في بلدة من البلاد ، المسمات باللغة العربية الدارجة ، التي تقع بها التفاهم في المعاملات السائرة ، لا مانع أن يكون لها قواعد قريبة المأخذ تضبطها ... ليتعارفها أهل الإقليم ، حيث نفعها بالنسبة إليهم عميم، وتصدق فيها كتب المنافع العمومية ، والمصالح البلدية" [2]

ولكن رفاعة لم يكن واعيا وعالما بمطامح هذه الدعوة فهذا الرأي لم يكن رأيه هو ولا فكرة راض عنها ، بل هي أراء وأفكار من دهاة قوم أيام إقامته في فرنسا فتنوه ، وأغروه وكان طمعا سهلا لهم.

[1] – المرجع نفسه ، ص : 143–144.

[2] – نقلا من كتاب : باطل وأسمار ، ص130. ـــ من كتاب : أنوار توفيق الجليل في أخبار مصر وتوثيق بني إسماعيل.

- لماذا إقترنت الدعوة إلى العامية بحركات التجديد والإصلاح:

إن الدعوة إلى العامية إنبثقت من مصر نتيجة الحملات التي شنها المستشرقون على الفصحى ، ونتيجة أفكارهم وأهوائهم المكبوتة ، وذلك من أجل إحلال العامية محل الفصحى ولتمكين العامة من إحتلال المجال العلمي والأدبي ، فبدأت تتسلل عن طريق حركات التجديد والإصلاح حيث اقترنت بحركة تسيير النحو وحركة تجديد الأدب.

أ - إقترانها بحركة التمصير:

إن حركة التمصير ظهرت في أواخر القرن التاسع عشر ، وذلك بظهور القومية المصرية ، ونمت معها إلى أن بلغت أشدها بعد الإحتلال البريطاني عام 1919 م، والقومية المصرية هي نزاعات خلفها الإستعمار بسياسته في مصر حيث أن هذه "النزاعات كانت لها تأثير جداً على المصريين مما خلقت نوعا من التعصب والإنطواء فنشأت ما تسمية بحركة التمصير سواء في الفن أو الأدب فقام دعاة التمصير يقترحون الأساليب التي تعيين على تحقيق ما يدعون إليه ومن بين هؤلاء ندكر أحمد لطفي السيد في إقتراحه في التمصير اللغة العربية" [1] ، فكتب حول هذا الموضوع سبع مقلات في شهري أفريل و ماي عام 1913 م ، حيث أخد يدافع عن رأيه ويفسر ما جاء به من أجل تتبعه والسير في دربه وهذه المقالات هي :

1 - الأولى تحت عنوان: (التأليف باللغة العربية) تحدث فيها عن اللغة العربية ودرجاتها الرفيعة في الألفاظ القديمة وضعفها في الألفاظ الحديثة والعامية.

2 - أما المقالة الثانية فهي تحت عنوان : "إلى الأمام في اللغة العربية"

3 - والمقالة الثالثة بعنوان :"في اللغة العربية"

4 - المقالة الرابعة تحمل عنوان: "رقُوا لغتكم"

5 - المقالة الخامسة تحت عنوان : في اللغة العربية ".

6 - المقالة السادسة بعنوان :"إلى الأمام في اللغة أيضاً".

[1] - تاريخ الدعوة إلى العامية وأثرها في مصر، ص : 124.

7 – والمقالة السابعة والأخيرة بعنوان:" في اللغة العربية ".

والنتيجة من مقالاته السبعة هذه أنه يلخص لنا فكرة واحدة ألا وهي عقد الصلح بين العامية والفصحى عن طريق " أخد مستحدثات من اللغة اليومية ونطقها على أوزان عربية ، حيث أن هذه الفكرة كان لها صدى في الوسط المصري " [1] فكما كان لها مؤيدين كان لها معارضين نذكر منهم : مصطفى صادق الرافعي في كتابه "تحت راية القرآن" ، في مقال له تحت عنوان" تمصير اللغة " [2] ، حيث أبدى إعتراضه ورفضه لهذة الفكرة معتمدا على أدلة وهي كالآتي:

– " إن هذه الفكرة ستقضي على اللغة العربية الفصحى ويؤدي ذلك إلى إنقراضها ".

– " إن العامية تبقى في توسيع وإنتشار وخاصة للأجيال القادمة وتصبح لغة القرآن الكريم مجرد لغة أثرية قديمة " [3] .

وأن تمصير اللغة لا يحيي الفصحى بل يميتها و يقول عن هذا المصطلح بأننا" إذا إبتعدنا بهذا الإصلاح إستدراج العامة ليتابعوا الكتاب و الخطباء فيما يكتبون و يخطبون فهل يتابعونهم على العامي وحده كما ينزل في الفصيح يستهزؤونه و يصيغونه حتى إذا عرض لهم الفصيح خالصا أنكروه غصوا به ،أم تكون المتابعة على العامي و الفصيح جميعا ؟ و إذا جاز على القوم أن يتابعوا الكتاب و الخطباء على الفصيح الممزوج بالعامي فلم لا يكون ذلك إذا كان الفصيح خالصا مأنوسا وكانت القرائن قائمة على ما فيه جديد أو غريب " [4] .

كما إعتبر أن الدعوة إلى تمصير اللغة نوع من أنواع القضية الوطنية التي قضى عليها الإسلام ولا سبيل لتحقيقها . ويختم مقالته هذه بقوله " فلا سبيل لتمصير العربية واعتبار هذه

---

[1] - أنظر الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر ، ص : 135.

[2] – تحت راية القرآن، د: مصطفى صادق الرافعي ، راجعه وإعتنى به ، د: درويش الجويدي :المكتبة العصرية للطباعة والنشر ، صيدا ، بيروت ، 2002 ، ص : 42.

[3] – أنظر المرجع نفسه ، ص : 42– 50.

[4] – تحت راية القرآن ص : 44–45 .

المصرية أصلا لغويا مجمعا عليه إلا بتمصير الدين الإسلامي الذي تقوم عليه هذه العربية فإن بعض ذلك سبب طبيعي إلى بعض ، فمن كشف لنا عن الوجه الذي يكون به الدين مصريا وطنيا ..... وبصرنا بأسباب ذلك ونتائجه فلنا له أخطأنا و أصبت " [1] .

وأما بالنسبة للمؤيدين فكانوا أغلبهم من النقاد و الأدباء و الذين تحمسوا لهذه الفكرة ،فقد إعتبروا تمصير اللغة شرطا لا بد منه فسارعوا إلى الكتابة باللغة المصرية الممزوجة بالفصحى ومن بين هؤلاء نذكر " محمد تيمور" و الذي أعجب بهذه الفكرة وتبناها ،فألف مقالا بعنوان (الوطن) بالإضافة إلى نزعته هذه " تمصير اللغة" أثرت فيه و تبعته إلى مؤلفات أخرى منها النثرية و التي كتبها باللغة الفصحى وأدخل بعض العاميات فيها مثل قصصه القصيرة و التي سماها (ما تراه العيون) من كتابه (وميض الروح) وقد جعلته هذه النزعة لا يعتني بأسلوبه الكتابي مما أفقدته محسنات كتاباته وخاصة في النثر" [2].

ونجد في النقاد الذين تحمسوا لهذه النزعة و ساهموا في التوجه لها و الدعوة إلى الكتابة باللغة المصرية و التي يفهمها العامة و الخاصة و المتداولة فيما بيننا هو " عبد العزيز عبد الحق" في مقال له تحت عنوان " (الأدب القومي) حيث تبين في هذا المقال السبيل الوحيد إلى إكتمال القومية عندنا هو أن نعتني باللغة العامة و التي تعتبر الدرب الوحيد لتحقيق آمالنا السياسية و الإجتماعية ، كما تكلم ومدح العامة بصفتها لغتنا القومية مبرزا ميزاتها : باعتبارها لغة قابلة للإستعمال و الحياة فهي اللغة المتداولة فيما بيننا مع ذكر بعض النتائج الإيجابية باستعمال العامة في الكتابة " [3] .

ويختم مقالة كبقية الدعاة للعامية و الذين خابت آمالهم وفشلوا فهذه الدعوة إلى المساواة بين العامة والفصحى ، مبينا الهدف الذي يصبوا إليه " من خلف أدب مصري ألا وهو : – تنمية شعور الأمة بذاتها .

---

[1] – المرجع نفسه ، ص: 50 .

[2] – أنظر تاريخ الدعوة إلى العامية و أثرها في مصر ، ص : 138 .

[3] – نقلا عن المرجع نفسه ، ص: 141 –143 ، من كتاب : حياتنا التمثيلة ، لـ : عبد العزيز عبد الحق .

إستعاب الحياة المصرية بالتحليل و النقد .

إيجاد طابع لا ئق ذي مميزات خاصة بالأمة " [1]

ب/ إقتران الدعوة إلى العامية بحركة تيسير النحو :

إن الدعوة إلى تيسر النحو هي دعوة قريبة من العامية و لها أسماء مختلفة منها : إصلاح العربية ، إحياء النحو ، تبسيط قواعد النحو و الصرف فقد لازمت الدعوة إلى تيسير النحو و التحدي النابغ من الدعاء بصعوبة اللغة العربية " [2] وذلك في نحوها و صرفها و كتاباتها و هذا في أواخر القرن التاسع عشر .

فالدعوة إلى تيسير النحو ظهرت عندما تبين لدعاة العامية و أعداء العربية أن الهجوم المباشر على العربية يثير الناس و لا يجد له رواحا ، فعمد أولئك إلى طريق أخرى غير مباشرة و منها هذه الدعوة (تيسير النحو) " وإن هذه النظرية تميل في تطورها نحو السهولة و اليسر فتحاول التخلص من الألفاظ العسيرة و تستبدل بها ألفاظ أخرى لا تتطلب جهدا عضليا كبيرا كما أنها تحاول أن تتفادى وتلك التفريقات المعقدة والأنظمة المختلفة للظاهرة الواحدة " [3] ومن هؤلاء الذين دعو إلى تيسير النحو من كانت مقاصده حسنة حيث يرون أن التيسير في الكتابة قد يعني على فهم النحو و الصرف وغيرها من علوم اللغة كالبلاغة و غيرها ، ولكن هناك من كانت لهم أغراض خبيثة ألا و هي مهاجمة العربية بطريقة غير مباشرة .

– وقد كان في مقدمتهم أحد شيوخ مجمع اللغة العربية وهو " عبد العزيز فهمي " في إقتراحه المقدم للمجتمع حول قضية تيسير الكتابة العربية ، حين قدم إقتراحه بمقدمة إنطوت على رغبته في إقصاء اللغة العربية الفصحى و أسفه الشديد لعدم تمكن اللهجات المحلية من

---

[1] – تاريخ الدعوة إلى العامية و أثارها في مصر ، ص: 143 .

[2] – أنظر دراسات في فقه اللغة ، د : صبحي الصالح ، دار العلم للقلايين بيروت ، ط3 ، 1968 ، ص :350 .

[3] – أنظر لحن العامة و التطور اللغوي ، د : رمضان عبد التواب ، الناشر مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، ط2 ، 2000 ، ص : 50 .

إحتلال مكانها " [1] حيث قال في إقتراحه هذا : " ولقد كنا نصر على هذه المحنة لو أن تلك العربية الفصحى كانت سهلة المنال كبعض اللغات الأجنبية الحية ولكن تناولها من أصعب و أشق ما يكون وكلنا نعرف هذا ونؤمن به ولكن الذكرى تنفع المؤمنين فلنذكر بعض هذه المشقة " [2] .

وفي مقدمة إقتراحه هذا وثنايا الكتاب نجده يتحدث عن قبول دعوته إلى إحلال و إستبدال الحروف اللاتينية بالعربية ، مع بعض الإقتراحات التي نادى بها وهي تيسير النحو العربي وتبسيط متن اللغة الفصحى ، فالدعوة إلى تيسير النحو لا يعني أصوله أو حدف فروعه لأن النحو في حقيقته قانون تبنى عليه اللسان وإنما نعني تبسيط الصورة التي تعرض فيها تلك الأصول و الفروع ، أعني تركيز الإهتمام على تبسيط طرائق تعليم مسائل النحو و قوانينه على النحو نفسه لأنه علم محض " [3] .

ومعنى هذا القول أننا لا نستطيع تبسيط اللغة العربية ولكن بإمكاننا أن نبسط طرق تعليمها و الخطوة الأولى التي يجب أن نقوم بها لتبسيط تعليم اللغة لابد لنا من فهم وظيفة فقه النحو على أصوله وحقيقته و أن فكرة تيسر النحو هي فكرة تعليمية لا بد منها " وهي مشكلة تربوية لابد من وضع الحلول لها بما يرفع عن النحو سمة (العصرية) التي يحاول أن يلصقها لبعض المعرضين ويحمل النحو العربي في ضوئها مسؤولية ضعف العربية لدى جماهير أكثر المعلمين بل أكثر المثقفين " [4] .

إن هذه الدعوة لا تختلف وتبتعد عن الدعوة إلى العامية فهذه الأخيرة إقترنت بهذه الحركة "تيسير النحو " من أجل هدف واحد وهي تيسير النحو و كثرت التعريفات و التأويلات حولها وإن بعض اللغويين يرون بأن هذه الحركة هي إتهام ينقص من قدر و منزلة النحويين القدامى و الذين كانت لهم بصمة بارزة في تأليف المقتصرات و الشروح من أجل تبسيط وتيسير النحو ومن أمثلة ذلك نذكر كتاب " الجمل " للزجاجي (ت : 238 هـ) ، " الواضح

---

[1] – الدعوة إلى العامية و أثرها في مصر ، ص : 144 .

[2] – أنظر كتاب العربية ، د : عبد العزيز فهمي ، نشر مجمع اللغة العربية ، طبع بالقاهرة ، عام 1946 م ، ص : 2 – 3 .

[3] – اللغة العربية و العلوم ، د هادي نهر ، مركز تحقيقات كامتوريس علوم إسلامي ، ص : 46 .

[4] – المرجع نفسه ، ص : 47 .

" للزبيدي (ت : 379 هـ) ، " اللمع " لإبن جني (ت : 392 هـ) ، " قطر الندى " لإبن هشام الأنصاري (ت : 761 هـ) .

– وفي تجديد او تيسير النحو كما يراه الدكتور عبد الرحمن حاج صالح " هو تكييف النحو و الصرف مع المقاييس التي تقتضيها التربية الحديثة عن طريق تبسيط الصورة التي تعرض فيها القواعد على المتعلمين فعلى هذا ينحصر التيسير في كيفية نعليم النحو لا في النحو ذاته " [1] .

إذن إن الدعوة إلى تيسر النحو هي دعوة للحرف و الإيجاز أو الشرح أو التقريب فهي لتسهيل تعليم النحو و اللغة في حد ذاته . لذلك لا بد لنا في أن نفرق من الصعوبة في قواعد النحو و مصطلحاته (صعوبة لغوية) وصعوبة تعلم القواعد واستعمالها و الحديث و الكتابة (صعوبة تربوية) .

– كما يرى " محمد تيمور " " أننا إذا تخلينا عن النحو نكون قد هدمنا ركنا أساسيا هذا لأن النحو يعد مقوما من مقومات اللغة ، و أن كل ما يمكن عمله هو تصفية القواعد الكثيرة و غربلتها ، وحذف مالا يتماشى و التطور العصري للغة و سيظل النحو أساس لغة الكتابة حتى تتقارب لغة الكتابة و الكلام " [2] .

– ونخلص في الأخير إلى أنه ومهما تعددت الأسباب فإنها تعبر عن شيء واحد هو أن خطة التيسير بمجملها تفتقر إلى المنهجية الشاملة المتكاملة و التي تنص على أن العناية " بإصلاح اللغة ينبغي ألا يكون متشتتا بل شاملا لتناول أغراضها و هدفها و فحواها ومناهجها وطرائقها وأسالبها " [3] ، إذ لا سبيل في تيسير النحو إذ لم تكن هنالك منهجية شاملة وواضحة تبين لنا القدرات المتعلم في المراحل التعليمية المختلفة ، كما تحدد القدر النحوي الذي يتماشى مع كل مرحلة .

---

[1] – المرجع نفسه ، ص : 47 .

[2] - مشكلات اللغة العربية ، أ: محمود تيمور ، مكتبة الأدب و مطبعتها بالحمامين ، المطبعة النموذجية ، ص: 16 .

[3] - قضايا اللغة العربية في العصر الحديث ، د : سمر روحي فيصل ، إتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 2009، ص: 39

– وأريد هنا أن أذكر بعض المؤيدين لهذه الفكرة والذي رأو أنه لاعيب فيه ولا صعوبة ، وإنما العيب والخلل الوحيد في طريقة تدريسه وفي طرقنا التربوية في تعلم اللغة العربية عامة و النحو خاصة ونذكر منهم حنفي ناصف في كتبه (الدروس النحوية) من (1886 م – 1891 م) وإبراهيم مصطفى في كتابه (أحياء النحو) عام 1937 م ، و أيضا (محمد عرفة) في كتابه (مشكلة اللغة العربية) عام 1947 م .

– ففكرة تيسير النحو هي فكرة تعليمية لازمة و هي مشكلة تربوية يجب وضع حلول لها بما يدفع عن النحو سمة الصعوبة التي يحاول الكثير أن يلصقها به ، ويحمل النحو العربي في ضوئها مسؤولية ضعف و جمود العربية ، و أن هذه القضية مفادها الشكوى من تعقد النحو و تشعبه وكثرة قواعده و قوانينه .

الدعوة إلى الحرف اللاتني دعوة رافدة للدعوة إلى العامية :

– يعتبر كتاب (قواعد العربية العامية في مصر) لولهم سبيتا عام 1880 م هو أول كتاب تناول الدعوة إلى العامية كما تطرق فيه إلى قضية هامة و هي الدعوة إلى إستبدال الحروف اللاتنية بالحروف العربية ، و تزيين لهذا العمل و تجسيدا لهذه الدعوة " قام بكتابة بعض النصوص العامية المصرية بحروف لاتنية ، والسبب في هذا الإستبدال (إستبدال العربية باللاتنية) هو أن الكتابة العربية خالية من حروف للحركات ، و أنها عميقة لا تساعد القارىء على الإستيعاب و الفهم الصحيح ، ولم يضف إتباع و لهلم سبيتا سواءا من العرب أو الأجانب شيء جديد و إنما كان لهم الفضل في نشرها و توسيعها "[1] ، وتحقيق القول فيها ، و الإهتمام بهذه المسألة (تيسير الكتابة العربية)

أ– هل الدعوة إلى الحرف اللاتيني بحقيقتها دعوة للتخلص من علم الحرف أو من رسم الحرف :

[1] - أنظر قضايا اللغة العربية في العصر الحديث ص: 26 .

إهتم مجمع اللغة العربية بالقاهرة بهذه القضية ، وكانت تدور حولها الكثير من المقترحات و المناقشات ، فمنهم من " رأى أنه يجب إستبدال الحروف اللاتنية بالعربية ولكن الإختلاف يمكن في علامات الحركة " [1] .

أ – إقتراح عبد العزيز : حيث كان من أكثر المتحمسين لهذه الفكرة ، وتقدم للمجمع بإقتراح ظل سنوات و سنوات يناقش تحت عنوان (إقتراح إتخاذ الحروف اللاتنية لرسم الكتابة العربية)

ب – وطبعت هذه الورقة بالمطابع الأميرية في فيفري عام 1944 م .

– وقد قدم الإقتراح في صيغة الجزم و اليقين الذي في روح النظر العقلي و التأمل الوقفي للأمور . " وصيغ الإقتراح بشكل طموح مبالغ فيه ، فقد توقع أن تزول كل الصعوبات دفعة واحدة ، و أن تسلس القراءة للصغار و الكبار ، عربا و عجما ، مثقفين و عوام " [2]

– وإن أساس وهدف هذا الإقتراح هو إبانة حركات الإعراب في رسم الكلمات بحروف تدل على الفتحة و الكسرة و الضمة و السكون .

– ففي بداية هذا الإقتراح بدأ بأسلوبه الخطابي ليقنع الناس برأيه و يفرض طريقته الجديدة في الكتابة ثم ضرب أمثلة لعيوب اللغة الفصحى من أفعالها المجردة و المزيدة ، و أن الفعل الثلاثي الواحد يكون في الماضي مفتوح العين أو مكسور ....إلخ ، وب غض النظر على الأفعال فإن الأسماء منها المبني ومنها المعرب و بعضها إنتهى من ذكر الصعوبات توجه إلى " التنديد بكتابتها فهذا الرسم في رأيه هو أهم أسباب مرض العربية وأنه الكارثة اللاحقة بنا في لغتنا ، لأ نه رسم لا يتسير معه قراءتها قراءة مسترسلة و مضبوطة " [3] و أن طريقته تتخلص في الإبقاء على خمسة أحرف عربية و خمسة عشر حرفا لاتنيا ، و إضافة زوائد ووضع حروف للحركات على الشكل الآتي :

---

[1] - تاريخ الدعوة إلى العامية و آثارها في مصر ، ص: 207 .

[2] – الحروف اللاتنية لكتابة العربية – أ : عبد العزيز فهمي ، دار العرب للسبتاني ، القاهرة ، (د – ت) ، ص: 10 .

[3] – الدعوة إلى العامية و آثارها في مصر ، ص: 209 .

الألف (9) فوقها خط / الهمزة : 3 / الباء : b/ التاء:t/ الهاء : حرف التاء نفسه مضيفا له خطين /الجيم:ج /الحاء:ح / الخاء : خ /الدال: d/الذال: حرف الدل تفسه مضيفا له خطين / الراء :r/ الزاي :z/السين :s / الشين : حرف السين نفسه مضيفا له خط واحد .

الصاد : حرف الصاد معكوس / الضاد : حرف الضاد معكوس / الطاء حرف الطاء معكوس / الظاء : يكتب معكوس / العين :ع / الغين :غ / الفاء : f/ القاف : q / الكاف :k / اللام :L / الميم : M/ النون :n / الهاء h/ الواو :w / الياء y. " [1]

كما تحدث عن الحروف التي ليس لنغمتها مقابل في لغتنا العربية و هي :x–p–j–g–c .

" أما بالنسبة للحركات ، فجعل الفتحة حرف (a) ، والضمة (u) والكسرة حرف (i) أو € و السكون لم يضع له أية علامة أو حرف ، والشدة هي تضعيف الحرف ، أما التنوين فقابله بإتباع حركة الحرف بحرف نون صغيرة أو الإبقاء على الرسم القديم "[2]

– أما بالنسبة إلى مزايا طريقته و التي نذكرفي إقتراحه هذا ففي ستة عشرة مزية ويمكن إختزالها في ما يلي :

أ– " تؤدي نغمات الحروف العربية كلها ، لكل نغم حرف واحد لا يشترك غيره معه في أداءه

ب – قلة النقط وعدم تغير مواضعه و أعدادها .

جـ – تقليص زمن تعليم الطفل القراءة و الكتابة ، ومساعدته على إتقان لغات أجنبية .

د – سهولة قراءة الأعلام الأجنبية و الكلمات العربية و سهولة تعليم الأجانب العربية و منعهم من تشويهها .

هـ – تيسير الطباعة ومنع التصحيف و الأغلاط المطبعية ." [3]

كما إنتقد على مزاياه هذه من طرف أعضاء المجمع فهاجموه ونقدوه نقدا دقيقا وهو : " أنه ليس فيها تيسير بالنسبة إلى كتابنا ، بل فيها خلط بين الحروف اللاتنية و العربية .

---

[1] - قضايا اللغة العربية في العصر الحديث ، ص: 27 .

[2] - المرجع نفسه ، ص : 27.

[3] - المرجع نفسه ، ص:27 .

أ – لا تحقق الفائدة الخاصة بنشر العربية بين الأجانب .

ب – لا يخلو رسم الحروف اللاتنية من صعوبات ، وهذا ما دفع أهلها إلى ضبط السماع و التلقين .

جـ – ليس هناك إرتباط بين تأخر العرب و عسر كتابتهم .

د – الحروف العربية الموفية بالغرض و لا حاجة إلى تغييرها " [1] .

– إذن فسواءا كان إقتراح عبد العزيز فهمي تلبية لدعوة سبيتا إلى إستبدال الحروف اللاتنية بالعربية أو " إستجابة للواجب اللغوي " [2] فإن إقتراحه هذا لم يخفق بسبب المناقشات العلمية داخل المجمع ولا بسبب النقد الموجه إليه بل أخفق نتيجة لفقدانه الأساس العلمي ، و إن الهدف الرئيسي لمشروع عبد العزيز فهمي ولدعوة سبيتا من قبل هو محاولة المطابقة من النطق و الكتابة ، و تر سيخا للفهم السليم ، وهذه المطابقة غير علمية ، وإن إقترنت إمكانية تحقيقها بحروف لاتنية أو عربية أو بأية حروف و أشكال أخرى ، ذلك أن النطق غير ثابت بل هو متغير بتغيير من جيل إلى آخر " فإذا حاول جيل المطابقة بين النطق و الكتابة فسيأتي جيل يضطر إلى مطابقة جديدة وهكذا تتمثل الكتابة و تبدو دائما متخلفة عن الجيل الذي يكتب بها " [3] .

وكما قرر أنطوان مابيه أن اللغات كلها التي يستطيع الباحث في علم اللسان أن يلاحظها لغات لها صيغة مكتوبة و معظم الإختلافات في النطق التي تتميز بها اللهجات المختلفة و الطبقات الإجتماعية المتباينة لا تظهر في الكتابة " [4] .

وهذا يعني أن هناك حقيقة لغوية في جميع اللغات و هي أن الكتابة ثابتة و النطق متغير

---

[1] - أنظر نص النقد في كتاب الدعوة إلى العامية و أثرها في مصر ، ص : 214 – 215 .

[2] - أنظر كتاب هذه حياتي : عبد العزيز فهمي ، دار الهلال ، القاهرة ، 1963، ص: 20 .

[3] – أنظر كتاب المنهج الصوتي للبنية العربية ، د : عبد الصبور شهين ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1980م ، ص: 13-14 .

[4] - أنظر منهج البحث في اللغة ، د: أنطوان ماي يه ، ترجمة : د : محمد مندور ، دار الملايين ، بيروت ، 1946 ، ص:86 .

ولا سبيل إلى المطابقة بينهما .

– فإقتراح عبد العزيز فهمي رفض شكلا ومضمونا حيث أسهمت الجرائد و المجلات في تحليله و ذكر خطورته ، كما ناصر هذه الدعوة الذين عرفوا بعداوتهم للعربية و لا يزالون يدعون لها حتى الآن بالرغم من أقليتهم و رفض أغلبية أبناء الأمة العربية لها .

– ومن أشهر الذين ردوا على عبد العزيز فه مي بطريقة علمية هو المحدث أ بو الأشبال أحمد محمد شاكر في رسالته الموسومة بـ الشرع و اللغة في قوله : " فلما أن ثار عبد العزيز باشا فهمي باللغة و التشريع ، يزجرهما زجرا عنيفا ، غير عالم أنهما لن يزولا حتى تزول الجبال وجدت الفرصة سانحة (.....) فأرد عمل معالي الباشا إلى مصادره و بواعتة (....) و أعيد نشر محاضرة كنت قد أعددتها في أن الكتاب و السنة يجب أن يكونا مصدر القوانين في مصر " لأبث دعوتي ، في سبيل الله وفي سبيل الخير لأمتي " [1] .

وننتقل بعد ذلك إلى إقتراحات أعضاء المجمع و الذين إتفقوا على إبقاء الحروف العربية واختلفوا في علامات الحركة كما نذكر بعض المروجين لهذه الدعوة " الدعوة إلى الحرف اللاتيني " :

أ – إقتواح أحمد لطفي السيد ، بإقتراحه عام 1899 ، الخاص بوضع حروف للحركات و التنوين .

ب – إقتراح على الجارم، عام 1944 ، " بإستعمال شكلات جديدة للدلالة على الحركات تكون متصلة بالكلمة ذاتها " [2]

جـ – إقتراح محمود تيمور عام 1951م الإكتفاء بعودة واحدة " من صور الحروف (....) واتخاذ علامات الضبط المتعارفة و التي يجري بها الإستعمال اليومي " [3] .

---

[1] - كتاب الشرع و اللغة ، د : أحمد محمد شاكر ، ملتزم الطبع و النشر دار المعارف بمصر 1890م ، ص: 6 .

[2] - نقلا تاريخ الدعوة إلى العامية و آثارها في مصر ، ص : 221 ، من إقتراح علي الجارم في كتاب من تيسر الكتابة العربية ، ص : 81 – 113 .

[3] - المرجع نفسه ، ص: 222.

– د– سعيد عقل في كتاب أسماه "يارا " صدر عام 1961م ، حيث كتب فيه بالخروف اللاتنية المعدلة ، وكان فاشلا لهذه الفكرة برمتها ، وكما أنه لم يتشبث بفكرته وعاد إلى العربيّ و أبجديتها الأصلية .

– و– إبراهيم حمودي الملا ، وكتابه " نحو أبجدية جديدة " .

ب/ : تراجع تمام حسان عن الدعوة إلى الحرف اللاتيني :

– " إن الكتابة نظما مختلفة بإختلاف دلالة الرمز ، فالرمز الكتابي إما أن يدل على صوت فتكون الكتابة صوتية ، وإما أن يدل على حرف " [1] فتكون الكتابة تشكيلية . وهذه الأخيرة نظامها هو جعل لكل حرف رمز .

– وهذا ما مال إليه تمام حسان في قوله : " غير أنني أميل شخصيا إلى الأخذ بإشتقاق رموز عربية من الأبجدتين الإغريقية و اللاتنية (....) وليس إقتراحي هذا مطابقا لإقتراح عبد العزيز فهمي ، لأنه دعا إلى إستخدام الرموز اللاتنية كما هي ، و أنا أدعو إلى الأخذ منها بحسب حاجة اللغة العربية ، ثم إستكمال ما يبقى بعد ذلك من الرموز الإغريقية " [2] .

فتمام حسان أيد هذا الإقتراح لفترة قصيرة دون أن ينظر إلى العواقب ، ومرجع هذا الإقتراح إلى ما يلي :

أ– " أنه توجد أصوات مشتركة بين العربية و الإغريقية .

– ب – أن إرتضاء مبدأ إستخدام الإغريقية و اللاتنية يدع المجال واسع للأختيار ، وهذا لا يتحقق إذا إقتصرنا في الأخذ على أبجدية واحدة منهما .

–جـ – إن إختيار أبجدية عربية منتقاة من هاتين تكتب من الشمال إلى اليمين ستجعلنا نسير مع التيار الفكري العالمي بصورة أسهل ، كما تجعل المصطلحات الأجنبية أكثر فهما و

[1] - أنظر مناهج البحث في العربية ، د : تمام حسان ، مكتب النشر للطباعة ، 1989 م ، ص:125–131 .

[2] - أنظر اللغة العربية بين المعيارية و الوصفية – د : تمام حسان ، عالم الكتب 38 شارع عبد الخاالق تروت ، القاهرة ، ط 4 ، 2000 ، ص : 145 .

إستيعابا و قبولا عند الطالب العربي " [1] .

– إذن فتمام حسان يعتقد أن هذا هو الحل لمشكلة الكتابة ، ويبرر ما دعا إليه بقوله :"(....) وهل ينفعنا الآن أن نتمسك بالفطرة و العقال و العباءة في عالم من السراويل القصيرة و الرؤوس العارية " [2] ففي قوله هذا يوضح لنا أنه يحرص على اللغة العربية . ولكن الشكل الذي تكتب به هو أمر زائد فقط .

– إن تمام حسان تراجع عن هذه الإقتراح وعن هذا الرأي إعتدادا بعدة أسباب وعراقيل ذكرهاا من قبل و نذكر منها :

أ – " أننا إذا فضلنا ذلك فسيكون مجتمعنا أشبه برجل منشق الشخصية كما أن أطفالنا سيتعلمون النظام الأبجدي الجديد ويجهلون القديم جهلا تاما ." [3]

– ب – خشي من أن ينتشر اللحن أكثر فأكثر و أن اللغة الفصحى لن يتكلمها الناس بالسهولة التي كانت لأسلافهم .

– جـ – " خاف على القرآن وعلى التراث العربي من الإختلاط و الفوضى .

– د – أننا لو أجرينا إصلاحا أبجديا فسيضيف ذلك صعوبة جديدة إلى صعوبات نشر المطبوعات و تحقيقها .

– و – ويقول في أحد الأسباب و العراقيل :" ما أعنانا في هذه الفترة من حياتنا القومية عن إضافة إضطرابات يقود كلها إلى النزاع الذي في نفوسنا بين الإتجاه إلى الحضارة العالمية الحديثة أو الإحتفاظ بطرق الحياة الإسلامية التقليدية . [4]

– ليس تمام حسان هو الوحيد الذي تراجع عن إقتراحه هذا فعلي عبد الواحد وافي كان متحمسا لفكرة تيسير الخط ، وقد ساق عددا من الإقتراحات في كتابه " فقه اللغة" ، إلا أنه

---

[1] - أنظر المرجع نفسه ، ص : 145 – 146 .

[2] - المرجع نفسه ، ص: 146 .

[3] - المرجع نفسه ، ص: 142– 143 .

[4] - المرجع نفسه ، ص : 137 – 143 .

في آخر مرة تراجع عن ذلك ، حيث قال في هامش إحدى صفحات كتابه الآنف ذكره مايلي : " كان هذا موقفي في الأربعينيات ، ولكنني الآن (ديسمبر 1972) لعدة إعتبارات من أهمها ما يوجد بين هذه الطريقة و الطريقة الحالية من خلاف غير يسير أصبحت ممن يؤثرون إبقاء الرسم العربي على حاله مع الإكتفاء بشكل جميع الكلمات للمبتدئين ، و الإقتصار على شكل الكلمات التي تثير اللبس لغير المبتدئين " [1] .

[1] - أنظر فقه اللغة ، ص:195 – 204 .

لماذا أفشلت الدعوة إلى العامية و الدعوة إلى الحرف اللاتيني رغم كل الخدمات التي قدمت لهما ؟

إن اللغة العربية ظاهرة صراعية يقع عليها ما يقع على الإنسان من مواجهات و مصائر في سياق إثبات الوجود و صراع البقاء و الحفاظ على الذات من صراعات و نزاعات الزمن و الدعوة إلى العامية من بين هذه الصراعات حيث كان هدفها السيطرة و التخريب وهدم بناء المجتمع وهذا ما شهده القرنان الماضيان في غير قطر من الأقطار العربية حيث جرت المحاولات العديدة إلى إنتزاع العربية من أبنائها و إحلال العامية ولغات أجنبية محلها وهذا ما جعل أبنائها يصارعون و يتمسكون بها بالرغم من تعدد وجوه النزاع حولها .

"ولكن اليوم بعد أن إختفت دواعي الكتابة بالعامية وهي : الإستعمار و الحركات القومية الإنفصالية ،الأمية وبعد أن أخذ التعليم في الإنشار إرتفع مستوى الثقافة العربية (.....) حقيقة مازالت العامية تحتل أنهارا صغيرة في بعض صحفنا و مجلاتنا ولكنها ستختفي كما هي آخذة في الإختفاء من مختلف الفنون الأدبية" [1] فالعامية مجرد نزوة عابرة أغوت الذين كانت لهم أفكار و آراء خبيثة حيث شنوا حملات على اللغة الفصحى فألصقوا بها التهم المختلفة و كان الهدف المقصود هدم البناء الإجتماعي العربي بهدم وكسر لغته وهذا ما تنبه له العرب فحاولوا إيقافه "ولا يزالون بالوسائل المتاحة حيث كانت الشعوب العربية هي الساعي الكبير إلى ذلك فاستمرت تعبر بفصاحتها وصغة ثقافتها الشعبية التي راجت في معظم أرجاء الوطن العربي " [2] .

كما أن الذين صانوا العربية و أقامت ألسنة الناطقين بها على سننها كانوا يعملون بهداية من الله و رعاية و توفيق لأنهم كانوا السبب إلى تحقيق وعدهم الصادق النافذ في قوله تعالى : " إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ " [3].

ومن هنا بدأ يظهر فشل و تلاشي العامية لأن هناك من تصدى لها وهو يعلم أن "رصدها

---

[1] – أنظر تاريخ الدعوة إلى العامية و آثارها في مصر ، ص: 466 .

[2] – الفصحى و عاميتها ، ص:406 .

[3] – القرآن الكريم ، سورة الحجر ، الآية : 9 .

لن يحافظ على كتاب الله و آثارنا الأدبية و الفكرية فقط بل أن رصدها فضل عن كونه واجبا علميا سيوسع آفاق فهمنا للغتنا و تاريخنا [1] .

إن العامية لم تصمد في وجه الفصحى لكونه هذه الأخيرة عبرت حضارات ووحدت لغات ولها تاريخ وتراث فكري عريق كما أن للقرآن الكريم أثره الخاص في حفظها و حمايتها من الإندثار " فالمتأمل للتاريخ يرى بوضوع لغات كثيرة قد إندثرت بموت أهلها أو ضعفت بضعفهم " [2] .

إذن فليس هناك مزية أخرى تحفظ اللغة العربية أكثر من القرآن فهو نموذج له الخلود والبقاء لا تلمسه يد التحريف فهو حصنها الحصين وركنها المكين و مرجعها الأمين .

كما أن هذه الدعوة و التي أثيرت حولها هذه الضجة :" ظاهرة في كل اللغات وليس مشكلة اللغة العربية وحدها " . [3] فهي أزمة مست جميع اللغات البشرية ، ونفوسه زكريا سعيد شبهتها" بذلك الجسم المفكك إذا نظرنا إليه من بعيد بدى لنا كجسم صلب متماسك ولكن إذا حاولنا لمسه ظهر على حقيقته المتداعية التي سرعان ما تنهار و تسقط من كل جانب ." [4] فالناس تفطنوإلى سلبيات هذه الدعوة مما تسببه من قطع " صلة بين الحاضر و الماضي و تعيق الأجيال القادمة من الإنتفاع بالتراث العربي " [5] القديم العريق كما تجعل عملهم عرضة للزلل فهذه الدعوة نادوابها الأوروبيين و خاصة المستعمرين و الذين جعلوا من وجودها مشكلة في لغتنا العربية و كانت غايتهم و هي اللغة الفصحى"فهذه الحملة التي قاموا بها ضد الفصح دفعت بأبناء العربية إلى القيام بأبحاث قيمة كان لها الفضل في الكشف عن الأصرار الفصحى و بيان علاقتها و قدرتها على مسايرة الحضارات في مختلف العصور " [6] فاللغة العربية تغلبت على العامية لأن لها إعتبارات تارخية و دينية و ثقافية .

---

[1] – علم اللغة مقدمة للقارىء العربي ، محمود السعران ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر ، بيروت ص :40 .

[2] – العربية وعلم اللغة الحديث ، د : محمد داود ، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع ،القاهرة ،2001 ، ص: 23 .

[3] – تاريخ الدعوة إلى العامية و آثارها في مصر ،ص: 467 .

[4] – أنظر المرجع نفسه ، ص: 19 .

[5] – فقه اللغة ، ص: 201 .

[6] – تاريخ الدعوة إلى العامية و أثرها في مصر ، ص: 467 .

كما أن كل من دعم العامية وبدل جهود في ترويجها لم تنعكس عليها بالإيجاب بل بالسلب فقد كشفت عيوبها و نقائصها و عدم قدرتها على الصمود كما كشفت مشكلاتها من بينها : مشكلة اللغة في وسائل الإعلام ومشكلة الترجمة و التغريب في العصر التقني الحديث بالإضافة إلى مشكلة تعليم اللغة العربية للعرب و الأجانب و لا تنسى مشكلة الحوار في الأدب المسرحي و القصصي و الروائي .

ومهما يكن أمر الخدمات الجليلة التي قدمت للعامية " فإن الشيء الذي لا ريب فيه هو أن بنية المجتمع العربي أنذاك بنية قوية متماسكة وعامل حاسم في إخفاق الدعوة إلى العامية " [1] و الشيء الذي جعل بنية المجتمع بنية قوية هو القرآن فالله تعالى إختار أن تكون اللغة العربية " دون سائر اللغات الإنسانية لسان القرآن فقال تعالى :" وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (192) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (193) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (194) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ(195) " [2]

بالإضافة إلى عامل الوعي القومي فقد ساعد هذا الأخير في فشل العامية " وفضح إشكاليتها الزائفة كصعوبة اللغة الفصحى وعجزها عن الوفاء بالحاجات العلمية العربية في العصر التقني الحديث " [3] وغيرها من الإشكاليات التي جعلت البعض يتأفف من الفصحى نتيجة الشك الذي أثاره فينا الأوروبيين بدعوتهم هذه .

كما أن من الأمور التي أدت إلى فشل العامية أن هذه الأخيرة مند أن بدأت تشق طريقها إلينا إستقبلت بجفاء و إستنكار من الرأي العام و لم ينصرها إلى أقلية و تزايدوا نتيجة لتزايد الدعاة لها كما أنهم على علم بفشلها " فاستتر بعضهم تحت أسماء مستعارة واتخدوا لها شعار التجديد و الإصلاح في اللغة الفصحى و أدابها [4] " فالعامية لم تترك ورائها إلا سلبياتها وكانت السبب في كشف مزايا و إيجابيات الفصحى .

فقد أحيطت هذه الدعوة " بكل الوسائل المثيرة و التي يكون ظاهرها إنقاد اللغة الفصحى

---

[1] – أنظر قضايا اللغة في العصر الحديث ، ص : 15 .

[2] – عربية القرآن ، د : عبد الصبور شاهين ، الناشر : مكتبة الشباب بالمنيرة ، ص : 15 .

[3] – قضايا اللغة في العصر الحديث ، ص : 151 .

[4] - تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر ، ص : 467 .

من براثن الأوروبيين [1] وذلك أن أدبائنا و علمائنا لما رأو إنتشار و توسع هذه الظاهرة هموا إلى تأليف عدة كتب من أجل تصحيح نطقهم و نوعيتهم ونذكر بعضها " كتاب تثقيف اللسان لإبن مكي ، وكتاب المدخل إلى تقويم اللسان و تعليم البيان لإبن هشام اللخمي ..... " [2] .

كما إكتشف الناس ما تصبوا إليه العامية لتنزل من منزلة الفصحى ، فقد إكتشفوا أن معظم الذين دعوا لها لا معرفة لهم بالأدب أصلا فقد كانت " نشأتهم عصامية لا علاقة لهم بالعربية فهم لم يدرسوها دراسة منظمة بل إعتمدوا في تعليمها ودراستها على مطالعتهم الشخصية " [3] فالعامية كانت مجرد دعوة ذهبت أدراج الرياح وحطمت أوهام أصحابها على صخرة التمسك العنيد و التشبث الحميد باللغة الأم اللغة العربية " ولعل العامل الحاسم في فشل هذه الدعوة هو إنتقاء الحجة التي كان يتدرع بها هؤلاء وهي صعوبة إستيعاب اللغة الفصحى (.....) وذلك أن اللغة العربية حققت في العقد الأخير نقل نوعية حيث تدرجت هذه اللغة نحو التيسير و التهذيب و و التشذيب و التوليذ مماشاة للعصر ، كان شاع إستعمالها بين سائر أفراد المجتمع (.....) إضافة إلى إرتفاع نسبة التعليم التي مكنت الجميع من مستوى مشترك من التفاهم " [4] فلغة الضاد بلغت مكانة السمو و الإرتقاء وهذه المكانة أطاحت بالعامية و جعلتها لهجة تزيد من الإشكال و التعقيد و الغموض فالعاميات كثرة و تعددت فأي عامية يدعون إليها أهي مصرية ؟ أم عراقية ؟ أم عامية الجزيرة ؟ أم غيرها من العاميات ؟ و للبلد الواحد توجد فيه أكثر من لهجة فأيهم تختار ؟ وكم نحتاج من الجهد كي تعم تلك اللهجة ؟ وهل نضمن لها النجاح ؟ ولعل الجواب واضح .

---

[1] – أباطيل و أسمار ، ص : 208 .

[2] – التحريفات العامية للفصحى ، د : شوقي صيف ، الناشر : دار المعارف ، القاهرة ، 1994 ، ص : 03 – 04 .

[3] – تاريخ الدعوة إلى العامية و آثارها في مصر ، ص : 469 .

[4] – أنظر الفصحى وعاميتها ، كلمة ممثل المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم ، أ : محمد صالح الجيري ، ص : 32 .

وعلى ضوء هذه الحقائق يمكن القول بأن الدعوة إلى العامية و التي أثارت الكثير من المشاكل اللغوية و الأدبية مجرد محنة وإختبار مرت بها اللغة الفصحى كما أنها نزوة عابرة بدأت " بالثورة ضد اللغة العربية الفصحى وانتهت بالثورة عليها فالعامية قد فشلت في محاولة إمتلاكها ناصية التعبير الكتابي في مجال الثقافة و الفكر و الكأس الآن في يد الفصحى كأس الغلبة و الربح و الإنتصار " [1] يجب علينا دائما أن نبقى منفتحين على محيطنا اللغوي من حيث التأثير و التأثر بما هو إيجابي في اللغات و الثقافات الأخرى ولابد لنا من خطوة ثورية في هذا الإتجاه لنكون في مستوى الآية الكريمة : " لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا " [2]

هل نستطيع القول بأن اللغة العربية من خلال هذه الدعوة قد ابتليت ببلاء لم تبتل به أية لغة في العالم ؟

مرت اللغات البشرية بلون من الحيرة و الإضطراب فالكون كله في عهد مضطرب حائر ، فقواعده تتهاوى و قممه تتخسف فهذا عصر الإنقلاب لاريب فيه و إنها حرب بلا سلاح ، حرب أشد ضراوة من حروب النار و الحديد فهي حرب الأفكار و هي رغبات و مقاصد وأهداف و هي دعوة أغرت من كانت في نفوسهم ثورة حبيسة رغبات خبيثة ضد اللغات كلها ولا بدع إذا أن تأخد اللغة العربية الفصحى حظها و نصيبها من هذه المحنة و الحرب و أن يجرد الكتاب أقلامهم دعات البحث في شأن هذه اللغة العربية :أوافية هي بحاجة أهلها ؟ أم أمطواعة في أداء رسالتها ؟ ألا نستبدل العامية بها ؟ [3]

فقد أبتليت اللغة العربية ببلاء لم تمر به من قبل فهذه الدعوة لا مصنوعة و لامتكلفة فهي دعوة شعواء و ليدة الشعور بأن لغة الضاد صعبة المرتقى و ليست مرينة كل المرونة ملائمة حاجات الحياة في تطورها و تقدمها الدؤوب .

---

[1] – أنظر مشكلات اللغة ، ص : 81 ، 83 .

[2] – قرآن الكريم ، سورة البقرة ، الآية : 142 .

[3] – مشكلات اللغة ، ص : 80.

فالدعوة إلى العامية حاولت أن تلحق الفساد و الضرر بلغتنا العربية كما أنها حاولت أن تعيش بيننا وفي حياتنا عيش الإمرة والسلطان ،فالعاميات أو الرطانات ملأت الساحة اللغوية العربية بالهياج فكانت تطير في الجو العربي وتملأه بالغبار المتناثر والنواشر من صور الكلام ،محاولة تعتيم المساحة الضيقة الصافية التي مازالت عربية العرب تتمسك بها " [1] و ذلك من أجل أن تسيطر على أرض العرب فيخضعوا لها و يولو و جوههم متنكرين للغتهم و عربيتهم .

– فالعامية " كانت أصعب محنة تفكيكية بها اللغة العربية ، رجت من ثوابها و هزت من حصونها حتى كادت أن تنحل كل أصولها و روابطها مابين علومها ، مند عهد أبينا إسماعيل عليه السلام (....) إلى يوم الناس هذا " [2] .

فهذه المحنة لا نستطيع مقارنتها بالمحن التي مرت على العربية من قبل " بدءا من قطرب الذي خالف جميع أئمة العربية في أنكاره نظرية العامية و الإعراب ورأى أن الحركات كانت بأثر صوتي جيء بها لتخفف من الثقل الناشيء من إسكان الحروف " [3] . ثم تلتها محنة الشعوبية و لعل هذه المحنة هي التي حركت الجاحظ إلى تأليف كتاب " البيان و التبيين " ردا على أنصار الشعوبية ردا صريحا في و ضمنيا في أغلب الأحيان فقصد بذالك إبراز الطابع الذي إنفردت بحضارة العرب و التي تميزو بهاعن غيرهم من دوي الحضارات الأخرى و هذه السمة ما هية إلا البلاغة و الفصاحة " [4] .

و بعدها بدأت محنة أرادت أن توقع باللغة العربية حيث حاولت أن تقلل من شأن الشعر

---

[1] – أنظر اللغة العربية بين الوهم و سوء الفهم ،د : كمال بشر ، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع ، القاهرة ، 1999 ، ص : 05– 06 .

[2] – مقال: اللغة العربية في مواجهة الزعيق الحضاري ، أ = الخثير داودي ، مجلة دراسات و أبحاث ، العدد : 13 ، جامعة الجلفة ، ص : 121 .

[3] – المرجع نفسه ، ص : 03 ، من كتاب الإيضاح في علل النحو ، لأبي القاسم الزجاجي ، ص : 70 .

[4] – أنظر قراءات مع الشبابي و المتنبي و الجاحظ و إبن خلدون ، د : عبد السلام المسدي ، دار سعاد الصباح ، القاهرة ، ط4 ، 1993 ، ص : 109

و النحو ، ولكن عبد القاهر الجرجاني تصدى لها فرد عليها " في خطة كتابه دلائل الإعجاز " [1] حيث ذكر منزلة الشعر و النحو من إعجاز القرآن الكريم في قوله : و ذالك إنا إذا كنا نعلم أن الجهة التي منها قامت الحجة بالقرآن و ظهرت وبانت وبهرت سواء هو أن كان على حد من الفصاحة تقتصر عنه قوى البشر ، و منتهيا إلى غاية لا يطمع أليها بالفكر ، و كان محالا أن تعرف كونه كذالك الأمن عرف الشعر الذي هو ديوان العرب . وعنوان الأدب " كما رد على من ذم الشعر و النحو " [2]

ولكن كل هذه المحن و الفتن التي مرت على لغة الضاد لم تكن كالدعوة إلى العامية هذه الدعوة التي جاءت بهدف التدمير و الشق و التمزيق ، و التي أتت على يد " رجال منا ، من بني جلدتنا من أنفسنا ينطقون بلساننا (.....) ولا أن بعض هؤلاء الرجال يأتون ما يأتون عن علم ، و بعضهم قد أخد من غفلته " [3] .

فالعامية أصعب فتنة هدامة مرت بها اللغة العربية فهي لم تكن كغيرها من المحن السابقة ففي المحن السابقة كانت الحدود واضحة بين الصديق و العدو ، ولكن الدعوة إلى العامية كانت غامضة بين الصديق و العدو فلا يكاد أحد يميز العامل من أجل الفصيحة من العامل على تهديمها ، فهذه المنحة حعلت العربية غريبة في عقر دارها ، فالاجانب نجحوا في غرسها وجعلوها الشغل الشاغل للأمة العربية فالعامية في الحقيقة صراع فكري هدام مر على لغتنا لتحطيمها كليا ولكن العربية لم تكن بالسهلة فقد أثبتت قوتها وشجاعتها متصدية لهذه المحنة ، بإثبات وجودها وقوة جدارتها وكفاءتها وقدرتها على مسايرة التطور التقني الحديث ، فقد " سلمت من شرورهم ولم يتحقق لهم ما تمنوه من مطامح ، لأنها دعوة معزوزة ومجدودة

[1] – مقال : شجاعة اللغة العربية في مواجهة الزعيق الحضاري ، ص : 122 ، من كتاب دلائل الإعجاز ، للإمام عبد القادر الجرجاني ، ص : 09 .

[2] – دلائل الإعجاز ، للإمام أبي بكر عبد القاهر الجرجاني النحوي ، بتحقيق وقراءة أبي فهم محمود محمد شاكر ، دار المدني ، مصر ، ط3 1992 ، ص : 08 .

[3] – أباطيل وأسمار ، ص : 9 – 10 .

عن الثوابت و الأصول وغير موضوعية ، مبنية على وساوس وهواجس أفكار بعض المستشرقين [1] الذين نقلوها إلى بعض رجالنا كانت لهم نفس الهواجس و الوساوس و النوايا الخبيثة و الخسيسة .

فالعربية تعرضت لمنحة قوية عرضتها للتهمش ولكنها تغلبت وتحدث وأثبتت وجودها وذلك عن طريق قوة واحدة ووحيدة واتسمت بها على غرار غيرها من اللغات وهي سمة خاصة ومميزة وكانت عاملا رئيسيا في توحيد العرب ألا وهي " القرآن الكريم " .

القيمة العلمية لكتاب الدعوة إلى العامية :

يعتبر كتاب تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر لنفوسة زكريا سعيد كتاب ذو قيمة علمية حيث عالجت فيه أكبر مشكلة ومحنة مرت بها اللغة العربية الفصحى ، فقد إنتهجت في تأليفها للكتاب طريقة علمية جديرة بالتقدير ، وبسطت من المعلومات ما يدل على غزارة أفكار وحسن إحاطة .

فهذا الكتاب أزاح الستار عن العامية وفضحها على حقيقتها المتداعية وقضى بعض الحق للعربية الفصحى ، فأبان عظمتها ووقف على شيء من أسرارها ، و أكد على بيان سعتها وإستعابها لكل جديد ، ورد على الدعاوي التي تنادي بوأدها في عقر دارها و في ربيع حياتها .

ونظرا لقيمة الكتاب وجودته قال فيه أبو فهر محمود شاكر كلام فاخر وراقي وهو كالآتي : " هذا الكتاب النفيس من تأليف الدكتورة نفوسة زكريا سعيد المدرسة بكلية الآداب بجامعة الإسكندرية ، و الجهد المبدول في جمع مادة هذا الكتاب ، جهد يدل على التجرد الصحيح السليم في طلب المعرفة ، وعلى الصدق في السعي إلى الحقيقة ، وعلى النفاد في إدراك الحقائق ، وعلى الصبر في معاناة التنقيب بلا كلل ولا ملل ولا أظن أنني قرات مند سنوات طوال كتابا يتناول المسائل العامة في حياتنا الحديثة ، بدل فيه صاحبه من الوقت و الجهد و الأناة ما بدلت الدكتورة نفوسة في كتابها هذا ولا أظن أنني قرأت أيضا في هذا الدهر كتابا ينبغي لكل عربي وكل مسلم أن يقرأ ، من ألفه إلى يائه ، يصارع هذا الكتاب وحسبها أنها

[1] – مقال : شجاعة اللغة العربية في مواجهة الزعيق الحضاري ، ص : 123 .

إستطاعت أن تحلو للناس صورة صحيحة صادقة مؤيدة بالأسانيد ، بلا تزيد ولا كذب ولا إدعاء ، عن أكبر معركة تدور في العالم العربي و الإسلامي وهي معركة البناء أو الهدم ، معركة الحياة أو الموت ، معركة الحرية و الإستعباد ، معركة وحدة العرب و المسلمين بلغة عربية واحدة هي الفصحى أو تفرق العرب و المسلمين أشتاتا بلغات متنابذة هي العامية ولو كان لي من الأمر شيء ، لأمرت أن يطيع هذا الكتاب ليكون في يد كل شاب و شابة ، وكل رجل و إمراة ، ويكون له مختصر ميسر لكل من مكنه الله من القراءة " [1] .

فهذا الكتاب يلزم ويفيد كل مثقف لأنه تطرق إلى دعوة خبيثة هدامة أرادت أن تحل محل لغة الضاد ، كما أن فائدة هذا الكتاب هو انه يخدمنا في المرحلة التي نمر بها وهي مرحلة التماهي بالغرب و لغته إضافة إلى أنه كتاب أعان على تحقيق عدة أهداف وكان حافزا إلى مناقشة الواقع اللغوي العربي .

[1] – أباطيل و أسمار ، ص : 125 – 126 .

خاتمة :

– إن الدعوة إلى العامية دعوة زائفة المحتوى كما أنها أعظم مؤامرة خبيثة بدأت خافتة ثم علا صوتها واشتدّ ضجيجها منذ سنة 1956 م ، بعد العدوان الثلاثي على مصر ، وبعد أرتاد قوى الشر على أعقابها هذه القضية الفتاكة و التي لم تكن في حاجة إلى الضجيج الذي ملأ أسماع الوطن العربي طوال قرن و نيف ، ومازال شبحها يسيطر على صدور اللغويين العرب ومحبي الفصيحة و الناطقين بها ومصدر الزيف فيها كامن في محتواها لأنها تدعو إلى إستعمال ما هو مستعمل في بلاد العربية ، فهي دعوة معادية من حيث الأهداف ، وأنني أعتقد بأن هذه القضية تطورت من التمييز بين المحتوى و الأهداف إلى إختلاطهما ، و سيادة الخوف العربي من العامية ، أو قل أنها تطورت من كونها قضية واقعية إلى كونها قضية إفتراضية .

- إن هذه القضية و التي سيطرت على حياة الأمة العربية في شؤونها اليومية و العادية بإعتبارها تستخدمها في أغراضها المختلفة ، لا تخضع لقوانين تضبطها و قواعد لغوية تحكم عبارتها . فهي لغة مشوهة و إن كانت تفي بأغراض التواصل في مواقف كثيرة و متعددة ولكن بالرغم من أن الناس لا يتكلمون العربية الفصحى و لا يستعملونها في التواصل إلا أنهم لا يعجزون عن فهمها و لو كانوا من بين الأميين و خير دليل على ذلك ، هو المتابعة المتميزة و المستمرة للنشرات الإخبارية و الإداعات و التي تبث بالعربية الفصحى ، ومتابعة الأطفال أيضا للرسوم المتحركة قبل السن المدرسية ،وهذا خير دليل على أن المشكلة ليست في الفصحى و إنما في نفوس أولئك الذين يستقبلونها و الذين لا يرغبون في تعليمها أو تعليمها.

خاتمة

– ولكن بالرغم من قوة هذه الدعوة محاولاتها الشنيعة و محاولات الإستهانة بالفصحى وبأبنائها إلا أننا نلاحظ تأثير و تغلب الفصحى على اللهجات العامية ، "و إن ما بقي في العامية من شيء جميل وانضباط قريب فهو من الفصحى قبل أن يتطرق إليه التشويه .

– فالعامية " مجرد تلوث لغوي عرفته البيئة اللغوية " لذلك يجب علينا نعالج ونضع حد لهذا التلوث وذلك بوضع قوانين للغة الأجنبية و ذلك من أجل حماية لغتنا ، إضافة إلى أن الأمة و التي أطباؤها ومهندسوها لا يقرأون الأدب سواءا كان شعرا أو نثرا أو رواية لا يمكن للغتهم أن تعيش لذلك لابد من أن نوسع نسيجها ونحصر هذا التلوث ، وذلك بالتكيف معها و الأمر يكون كالآتي :

– إعادة الثقة بالفصحى ، إضافة إلى توسيع إستعمالها و جعلها لغة المسرح و السينما .

فالدعوة إلى العامية أرادت أن تجعلنا أمة بدون لغة ، وهي دعوة تنحو نحوا مغايرا لحياة اللغة الفصيحة التي هي صورة لحياة الأمة وهي الصورة التي ينبغي أن تبقى مشرقة تعبر عن سمو القوم و ليس عن إنحطاطهم .

– و أخيرا أشكر الله جزيل الشكر فهو المستعان وعليه التكلان و الصلاة و السلام على خير الأنام محمد صلى الله عليه و سلم – والحمد لله رب العالمين .

قائمة المصادر و المراجع

1 - أبا طيل وأسمار ، د: محمود محمد شاكر، الناشر : مكتبة الخانجي بالقاهرة الجزءان :1 – 2 .

2 - أنظر اللغة العربية بين المعيارية و الوصفية – د : تمام حسان ، عالم الكتب 38 شارع عبد الخالق تروت ، القاهرة ، ط4 ، 2000 م.

3 - أنظر اللغة العربية بين الوهم و سوء الفهم ،د : كمال بشر ، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع ، القاهرة ، 1999 .

4 - أنظر قراءات مع الشبابي و المتنبي و الجاحظ و إبن خلدون ، د : عبد السلام المسدي ، دار سعاد الصباح ، القاهرة ، ط4 ، 1993 م .

5 - الفصحى و عاميتها ، أعمال الندوة الدولية التي نظمت بالتعاون مع وزارة الثقافة ضمن فعاليات الجزائر العاصمة ، دار الخلدونية للطبع و النشر و التوزيع يومي : 4 – 5 يونيو 2007 .

6 - اللغة و المجتمع د: محمود السعران ، مزيدة ومنقعة ، ط 2 ، 1963 .

7 - اللغة العربية و العلوم ، د : هادي نهر ، مركز تحقيقات كامتوريين علوم إسلامي .

8 - الحروف اللاتنية لكتابة العربية – أ : عبد العزيز فهمي ، دار العرب للسبتاني ، القاهرة ، (د – ت) .

9 - العربية وعلم اللغة الحديث ، د : محمد داود ، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع ،القاهرة ،2001م .

10 - التحريفات العامية للفصحى ، د : شوقي صيف ، الناشر : دار المعارف ، القاهرة ، 1994 .

11 - تاريخ الدعوة إلى العامية و آثارها في مصر ، د : نفوسة زكريا سعيد ، دار النشر للثقافة ، الإسكندرية ، ط 01 ، 1964 .

12 - تحت راية القرآن، د: مصطفى صادق الرافعي ، راجعه وإعتنى به ، د : درويش الجويدي :المكتبة المصرية للطباعة والنشر ، صيدا ، بيروت ، 2002 م.

13 - تيسير الكتابة العربية ، د : عبد العزيز فهمي ، نشر مجمع اللغة العربية ، طبع القاهرة ، 1946 م .

14 - تجديد النحو العربي ، د : جنان التميمي ، 2009 .

15 - دراسات في فقه اللغة ، د : صبحي الصالح ، دار العلوم للملايين بيروت ، ط 3 ، 1968 .

16 - دلائل الإعجاز ، للإمام أبي بكر عبد القاهر الجرجاني النحوي ، بتحقيق وقراءة أبي فهم محمود محمد شاكر ، دار المدني ، مصر ، ط3 ، 1992 .

17 - رسالة في الطريق إلى ثقافتنا ، د– محمود محمد شاكر ، مكتبة الأسرة ،1997 .

18 - علم اللغة مقدمة للقارىء العربي ، محمود السعران ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر ، بيروت .

19 - عربية القرآن ، د: عبد الصبور شاهين ، الناشر: مكتبة الشباب بالمنيرة ، ص : 15 .

20- فقه اللغة ، د: علي عبد الواحد وافي ، نهظة مصر للطباعة و النشر و التوزيع ، ط3 ، 2004 .

21 - فصول في اللغة و النقد ، د: نعمة رحيم الغراوي ، المكتبة العصرية ، شارع المتنبي بناية المكتبة البغدادية ، ط1 ، 1425 هـ – 2004 م .

22 - قضايا اللغة العربية في العصر الحديث ، د : سمر روحي فيصل ، إتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 2009 .

23 - كتاب الشرع و اللغة ، د : أحمد محمد شاكر ، ملتزم الطبع و النشر دار المعارف بمصر 1890 م .

24 - لسان العرب ، لإبن منظور ، دار صبح ، بيروت لبنان ، ط1 ، 2006 .

25 - لحن العامة و التطور اللغوي ، د : رمضان عبد التواب ، الناشر ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، ط2 ، 2000 م .

26 - مجلة الجامعة الإسلامية ، قراءة جديدة في قضية الدعوة إلى العامية ،د،عبد الله أحمد خليل إسماعيل ، المجد الخامس ، العدد الثاني ، يونيو ، 1997.

27 - مشكلات اللغة العربية ، أ: محمود تيمور ، مكتبة الأدب و مطبعتها بالحمامين ، المطبعة النموذجية .

28 - منهج البحث في اللغة ، د: أنطوان مايبي ، ترجمة : د : محمد مندور ، دار الملايين ، بيروت ، 1946 .

29 - مناهج البحث في العربية ، د : تمام حسان ، مكتب النشر للطباعة ، 1989 م .

30 - مجلة دراسات و أبحاث ، مقال : شجاعة اللغة العربية في مواجهة الزعيق الحضاري ، أ : الخثير داودي .

* الفهرس *

1 – الإهداء

2 – المقدمة

3 – المدخل

1 – مفهوم العامية لغة 6

2 – العامية من الناحية الإصطلاحية 6

3 – ما عمر الدعوة إلى العامية ؟ 7

4 – لماذا كانت مصر مركز إنطلاق الدعوة إلى العامية ؟ 10

– الفصل الأول : منبع الدعوة إلى العامية و أوائل الدعاة لها .

1 – المؤلفات الأجنبية التي نبتت منها الدعوة إلى العامية 13

2 – المؤلفات العربية التي تناولت دراسة اللهجات إيعازا من الأجانب 16

– الفصل الثاني : إقتران الدعوة بحركات التجديد و الإصلاح .

1 – لماذا إقترنت الدعوة بحركات التجديد و الإصلاح ؟ 21

أ – إقترانها بحركة التمصير 21

ب – إقترانها بحركة تيسير النحو 24

2– الدعوة إلى الحرف اللاتيني دعوة رافدة للدعوة إلى العامية 27

أ– هل الدعوة إلى الحرف اللاتيني بحقيقتها دعوة للتخلص من علم الحرف

أو رسم الحرف 27

ب– تراجع تمام حسان عن دعوة الحرف اللاتيني لماذا ؟.....32

– الفصل الثالث : التجربة ترد للفصحى إعتبارها .

أ – لماذا أفشلت الدعوة إلى العامية و الدعوة إلى الحرف اللاتيني رغم

كل الخدمات التي قدمت لهما ؟ 36

ب- هل تستطيع القول إن اللغة العربية من خلال هذه الدعوة قد إبتليت
ببلاء لم تبتلي به أية لغة في العالم ؟ 40
ج- القيمة العلمية لكتاب تاريخ الدعوة إلى العامية ؟ 43
- **خاتمة** 45
- **قائمة المصادر و المراجع** 47
- **الفهرس** 50